الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مسار : تاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر

موسومة بـ

طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا القرمانلي (1795 – 1835 م)

إعداد الطاليبتان:

- بوطبة خضرة
- بوسيف كريمة

إشراف الأستاذ

- بوعناني العربي

الأستاذ : زاهـــي مـحـمـد	..... رئيسا
الأستاذ : بوعناني الـعربي	..... مشرفا و مقررا
الأستاذة : حرشوش كريمة	..... مناقشة

الموسم الجامعي :

1437 هـ - 1438 هـ / 2016 م – 2017 م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين و على آله و صحبه إلى يوم الدين شكر إلى الرحمن الرحيم الذي وفقنا في إتمام هذا العمل المتواضع و، أوهبنا الصبر الجميل و الحمد للوهاب رب العالمين.

نشكر جزيل الشكر الأستاذ المحترم "بوعناني العربي" الذي كان لنا خير سند و لم يبخل علينا بالمعلومات و التوجيهات التي تدعم بحثنا كما لا ننسى له دعمه المعنوي في تحفيزنا في إنجاز هذا العمل أطال الله في عمره، ولا ننسى أن نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم التاريخ الذين كان لهم الفضل في وصولنا إلى هذه المرحلة و دعمهم لنا طيلة انجازنا لهاته المذكرة، كما نتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة الذين وافقوا على مناقشة هذه المذكرة، وإلى كل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد.

إهداء

أهدي هذا العمل إلى والدي الكريمين حفظهما الله وأدامهما تاجا فوق رؤوسنا

إلى إخوتي وأخواتي: أسماء، كريمة، عبد الرزاق، أحمد

إلى صديقاتي العزيزات: سارة، فتيحة

إلى خالتي التي تعتبر بمثابة أمي الثانية

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد

إلى كل الأهل والاحباب

خضرة

إهداء

أهدي هذا العمل إلى والدي الكريمين

حفظهما الله وأدامهما تاجا فوق رؤوسنا

إلى إخوتي وأخواتي

إلى صديقاتي العزيزات

إلى خالتي التي تعتبر بمثابة أمي الثانية

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد

إلى كل الأهل والاحباب

كريمة

دليل المختصرات المستعملة:

أ_باللغة العربية:

الاختصار	ما يوافقه
تح	تحقيق
تع	تعليق
تص	تصحيح
تق	تقديم
مر	مراجعة
تر	ترجمة
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
دت	دون تاريخ
مج	مجلد
ج	جزء
ع.د	عدد
ت	توفي
م	ميلادي
هـ	هجري

ب_باللغة الأجنبية:

الاختصار	ما يوافقه
p	PAGE

مقدمـــة

خضعت الأراضي الليبية لحكم الدولة العثمانية في سنة 1551م، وأطلق عليها تسمية ولاية طرابلس الغرب لتمييّزها عن مدينة طرابلس في بلاد الشام، والتي مر حكمها بثلاث مراحل وهي: الحكم العثماني الأول من (1551 _ 1711م) بحيث نجح العثمانيون من تخليص البلاد من فرسان القديس يوحنا ومنذ ذلك التاريخ أصبحت خاضعة للسيطرة العثمانية، إلى غاية قيام حكم مستقل بها عن السلطة العثمانية فظهرت حركة إستقلالية عن الدولة العثمانية التي قام بها أحمد باشا القرمانلي.

فجاء العهد القرمانليين (1711 _ 1835م) استمر مائة و أربعة و عشرين عاماً و جعل البلاد وحدة متكاملة وقام أحمد القرمانلي بإصلاحات كبيرة للبلاد وجعل اللامركزية مبدأ للحكم في طرابلس الغرب، وقد حكم من الأسرة القرمانلية خمسة بشوات على التوالي هم: أحمد باشا، محمد باشا، علي باشا، أحمد باشا الثاني، ويوسف باشا وهذا الأخير يعتبر من أبرز ولاة طرابلس في القرنيين الثامن و التاسع عشر، ومؤسس الثاني للأسرة القرمانلية، فمنذ وصوله إلى الحكم استطاع أن يوطد الأمن و النظام و فرض سيطرته على الدول الأوروبية وازدادت علاقته معها، فأصبح الأسطول الطرابلسي يضرب له ألف حساب، حيث تمكن من فرض سيطرته على أساطيل كثيرة، فاستغله في القرصنة ضد الدول الأوروبية، ممّا أدخله في نزاع معها، فاتخذت هذه الدول في مؤتمري فينا سنة 1815م، وإكس لاشابل سنة 1818م مقررات تمنع القرصنة و أي إتاوات تفرض على السفن الأوروبية، ممّا أدى إلى زوال شأن الأسطول القرمانلي، فبدأت الأحوال الاقتصادية تسوء في البلاد، وقيام ثورات داخلية لكثرة الضرائب المفروضة على السكان، جراء انقطاع الإتاوات المالية و تراكم الديون على طرابلس، ممّا دفع بيوسف باشا لتنازل عن العرش لإبنه علي، فزداد الصراع حول السلطة، بين أبناءه إلا أن هذا التنازل لم يحل المشكلة بلّ زاد الأمر تعقيداً، فاستغلت الدول الأوروبية هذه الأوضاع الداخلية من أجل بسط نفوذها وسيطرتها على المنطقة، ممّا أدى بالدولة العثمانية إلى استغلال هذا الخلاف، وأرسلت حملة بحرية تمكنت من خلالها في نهاية شهر مايو 1835م من احتلال

طرابلس، وأنهت حكم الأسرة القرمانلية، وبقيت إيالة عثمانية إلا أن غزاها الايطاليون في 1911م.

أما أهمية الموضوع: عرفت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني الأول في طرابلس الغرب مرحلة ضعف و اضطرابات سياسية، فاستغل هذا الوضع أحد ضباط الإنكشارية وأسس الأسرة القرمانلية وجعل حكمها مستقل عن الدولة العثمانية. فتعاقب أفراد أسرته على السلطة وتميزوا بالحنكة السياسية كيوسف باشا القرمانلي الذي هو موضوع محل دراستنا والموسومة بـــ: "طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا القرمانلي 1795_ 1835م" وذلك للوقوف على الدور الذي لعبته هذه الشخصية والأوضاع التي أحاطت بفترة حكمه.

ممّا وجب علينا طرح الإشكالية التالية:إلى أي مدى نجح يوسف باشا في تثبيت دعائم حكم الأسرة القرمانلية؟

وتتفرع من هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية و هي:

_ما هي أبرز مميزات حكم يوسف باشا القرمانلى؟

_كيف اتسمت العلاقات بين يوسف باشا والدول الأوروبية؟

_ما هي أسباب نهاية النشاط البحري الطربلسي في حوض بحر الأبيض المتوسط؟وما هي إنعكساته على الوضع الداخلي؟

_و ما هي أسباب سقوط الأسرة القرمانلية و التدخل العثماني الثاني؟

وفيما يخص دوافع اختيارنا لموضوع طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا القرمانلي 1795 1835م، فهو مهم بالنسبة لتاريخ ليبيا الحديث، بحيث نجد أن معظم تاريخ ليبيا كتب بأقلام الأوروبية وتم ترجمتُها من طرف الطرابلسيين وهذا يعد سبباً من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع إضافة إلى:

_ذاتية معظم الكتابات الأوروبية في تدوين.

_جدلية الأسئلة التي يطرحها موضوع طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا .

_دراسة فترة حكم يوسف باشا الذي هو جزء مهم من الأسرة القرمانلية نظراً لتحولات الكبيرة التي عرفتها طرابلس الغرب.

_محاولة الوقوف على أهم المحطات السياسية التي ميّزت طرابلس الغرب و علاقتها مع الخارج.

_تقديم دراسة متواضعة في مجال الدراسات العلمية حول شخصية هامة وبارزة في التاريخ.

و للإجابة على هذه الإشكالية وللتعرف أكثر على مجريات الأحداث التي يحتويها موضوع دراستنا اقتضى الأمر منا وضع خطة بحث والتي بدأت بمقدمة و مدخل و أردفناها بثلاث فصول عالجنا فيها موضوع الدراسة، ثم خاتمة ضمناها حوصلة لما جاء في البحث و ألحقناها بمجموعة من الملاحق و البيبليوغرافيا و فهرس للموضوعات.

أمّا المقدمة فقد عرفّنا فيها بالموضوع و الإشكالية المراد معالجتها، كذلك بيّنا أسباب اختياره و الخطة المتبعة لعرضه، إضافة إلى بيان المصادر و المراجع و أهم العراقيل التي صادفتنا في إنجازه ومن ثم أتبعنها بمدخل و المعنون بـــ: قيام الأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب. والذي عالجنا فيه أصل الأسرة القرمانلية و ظروف تأسيسها ،كما تطرقنا إلى فترة حكم كل من علي باشا ومحمد باشا و الأوضاع الداخلية في فترة حكمهما، وعلاقتهما بالدول الأوروبية، و النزاع الأسري حول السلطة.

أمّا الفصل الأول فعنوناه ب: وصول يوسف باشا إلى حكم طرابلس الغرب. أدرجنا تحته أربعة مباحث و التي تضمنت: شخصية يوسف باشا، و أهم انجازاته في طرابلس الغرب و عنايته بها، واهتمامه بالأسطول الليبي، و مسببات الحرب الأمريكية الطرابلسية 1801 _ 1805م وأهم الحملات التي وجهتها أمريكا إلى طرابلس، وعلاقاته مع الدول الأوروبية خاصة فرنسا التي اتسمت علاقته معها بالودّ، أما هولندا و السويد التي اعتبارها يوسف باشا من الدول الصغرى التي لا يهابها فتميزة علاقته معها بالحرب.

أمّا الفصل الثاني و الموسوم بـــ: الوفاق الأوروبي و زوال الأسرة القرمانلية. تطرقنا فيه إلى التكتل الأوروبي من أجل القضاء على النشاط البحري الطربلسي وذلك من خلال المؤتمرات: فينا و إكس لاشابيل، و الحملات العسكرية بما فيها السردينية و النابوليتانية.

و في ما يخص الفصل الثالث الموسوم بـــ: إنهيار حكم يوسف باشا و سقوط الأسرة القرمانلية. و الذي تضمن أربع مباحث: الأزمة المالية التي كانت نتاج لإنهاء النشاط البحري الطربلسي الذي تمخض عنه زيادة في الديون و تبعية المالية، التي أدت بدورها بطريقة أو أخرى إلى قيام الثورات والمطالبة بسقوط حكم يوسف باشا، والتدخل الانجليزي و الفرنسي في طرابلس الغرب ممّا دفع بيوسف باشا إلى التنازل عن السلطة و التدخل العثماني الثاني ، ونهاية الأسرة القرمانلية.

أنهينا البحث بخاتمة أوردنا فيها أهم الاستنتاجات التي إستخلصناها من دراستنا للموضوع و تليها مجموعة من الملاحق كانت لها علاقة مباشرة بالموضوع، و قائمة البيبليوغرافيا.

متبعين في ذلك المنهج التاريخي الوصفي لأن طبيعة الموضوع تفرض إستعراض الأحداث التاريخية وكذا لرصد الأحداث و الوقائع وترتيبها كرونولوجياً و وصفها حسب كل مرحلة من المراحل الواردة في خطة البحث.

التعريف بالمصادر و المراجع: تنوعت مضامين البحث بين المصادر و المراجع، فمن المصادر وأهمها:كتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لمؤلفه أحمد بيك النائب الأنصاري الذي أفادنا في تعرف على أصل الأسرة القرمانلية، ومميزات حكمها، أمّا الكتاب الثاني عشرة أعوام في طرابلس الغرب للأنسة توللي الذي أعاننا في تعرف على النزاع الأسري بين أبناء علي باشا القرمانلي على السلطة، و إنعكساته على طرابلس الغرب. أمّا الكتاب رود لفوميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، أستفدنا منه العلاقات يوسف باشا

بالدول الأوروبية، وكذلك الوفاق الأوروبي الذي عمد على إنهاء القرصنة، ونهاية الأسرة القرمانلية و تدخل العثماني الثاني في طرابلس.

أما أهم المراجع: إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795_1835م باعتباره مرجع أساسي فأخذنا عنه ظروف قيام الأسرة وشخصية يوسف باشا و توليه الحكم، و إنجازاته بطرابلس إلي غاية نهاية عهد حكمه، أمّا النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية 1711_1833م و أثره على علاقتها بالدول الأجنبية لمؤلفه محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة الذي أعاننا في أسباب قوة الأسطول البحري الطرابلسي في حوض البحر الأبيض المتوسط، ونقاط ضعفه التي تبلورة أكثر بعد إنعقاد المؤتمرات الأوروبية التي منعت القرصنة، وتدخل القنصل الأنجليزي و الفرنسي في الشؤون الداخلية لطرابلس الغرب، و مرجع آخر وهو: تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشريين، لنيكولاي إيليتش بروشين الذي أخذنا عنه الكثير من خلال دور طرابلس الغرب و مكانتها في حوض البحر الأبيض المتوسط، و ظهور الأزمة المالية و تاثيرها على طرابلس الغرب، و بداية التغلغل الأوروبي في طرابلس و انهيار حكم الأسرة القرمانلية.

وقد واجهتنا صعوبات من بينها:

_من الطبيعي أنه، لايخلو أي بحث أكاديمي من العراقيل ، من تشتت المادة العلمية في المكتبات، و كذا تقارب المعلومات في المراجع لطرحها.

_كثرة الأحداث المتعاقبة و صعوبة ذكرها كلها.

_صعوبة الحصول على مصادر باللغة الأجنبية لأن معظم المؤلفات كتبت بالإيطالية، وتم ترجمتها من طرف الليبيين.

المدخل

قيام الأسرة القرمانية

أ ــ التعريف بالأسرة القرمانلية:

الأسرة القرمانلية[1] أسرة تركية الأصل من مدينة قرمان الواقعة جنوب الأناضول في آسيا الصغرى، و قدّ وفد جدهم الأكبر[2] أثناء قدوم سنان باشا لتحرير طرابلس الغرب من فرسان القديس يوحنا سنة 1551م[3]، وكان بحارا صغيرا امتلك بعض المزارع والنخيل في حي المنشية واندمج أبناؤه وأحفاده بأهل البلد وصاهرهم،[4]حيث تزوج من إحدى نساء المنطقة العربيات، ولقد توارثت سلالة هذا القرصان من أب إلى ابن اسم جدهم الأول الملقب بالقرمانلي.[5]

فقد أصبحت القولوغية خلال القرن الثامن عشر عنصرا غالبا، ولها وزن قوي في حياة العامة،[6] حيث شكلوا جماعة هامة من الناس يحتلون مركزا متميزا ويتطلعون إلى السلطة، وكان القولوغية يشتغلون بالحرف والزراعة والتجارة ويقومون بالإضافة إلى ذلك بالخدمة العسكرية التي تنتقل لديهم بالوراثة، فكانوا لقاء الخدمة العسكرية يحضون بحقوق خاصة وامتيازات، كالإعفاء مثلا من دفع الضرائب.[7]

ومع مرور الوقت أصبح لها نفوذ في بالمنطقة بفضل مصاهرتها، وقد وصل يوسف القرمانلي إلى مرتبة باشا أغا الفرسان، خلال والي خليل باشا، وبذل ابنه أحمد جهودا كبرى لتقوية نفوذ

---

[1] _ ينضر الملحق رقم 01، ص 102.

[2] – أحمد القرمانلي: ليبي المولد يرجع أصله إلى مدينة قرمان في الجزء الغربي من الأناضول، و ويحتمل أن يكون جده الأعلى جاء إلى طرابلس في النصف الثاني من القرن السادس عشر مع وصول الأفواج الأولى من الإنكشارية الذين أحظروا إلى طرابلس.ينظر: مصطفى خوجة ، تاريخ فزان، تح وتق وتع حبيب وراعة الحسناوي، منشورات مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية، 1989، ص 81.

[3] – محمود علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى، ليبيا)، منشورات جامعة دمشق، 1999-2000م، ص 208.

[4] – رود لفوميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، تر: طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس ، ص 11.

[5] – شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تر: محمد عبد الكريم الوفي، جامعة قاز يونس، بنغازي، ط03، 1994م، ص 263.

[6] – أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تر: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ط02، 2001 1991، ص 285.

[7] – بروشين نيكولاي إيليتش، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، تر: عماد حاتم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص 104.

الأسرة ومكنه من حكم البلاد في سنة 1711م[1]، فلم يمض وقت طويل حتى لم يعد لهم من الصبغة التركية سوى الاسم فقط، حيث أصبحوا يجهلون حتى لغة الأتراك[2].

ب ــ ظروف وصول أحمد القرمانلي إلى حكم طرابلس الغرب.

أدى ضعف الحكومة المركزية إلى اضطراب الحكم والولايات العثمانية البعيدة، فكثر تغيير الولاة، وتعدد ظهور المغامرين الذين يحسنون الاستفادة من الفرص المواتية، و تمكن بعضهم من أن ينشئ كيانا خاصا للولاية التي استأثر بالسلطة فيها داخل نطاق الكيان العثماني العام، ومن بين هؤلاء أحمد القرمانلي،[3] الذي نجح في وضع يده على مقام الرياسة في إيالة طرابلس.[4]

فبويع بالولاية يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الآخرة 1123هـــ يوليو 1711م فكانت مبايعته بالإجماع، فكان عمره يقارب الخامسة والعشرين،[5] فكان من أعظم الولاة العثمانيين شجاعة واقتداء، إلا أنه لم يمض على اختياره أسبوع واحد حتى قدم خليل باشا الوالي الأسبق في أسطول من القسطنطينية ومعه فرمان سلطاني بإعادته إلى ولاية ليبيا، فمنعه أحمد باشا من النزول في المدينة، فتوجه إلى زواوة، وانضم إليه بعض العرب، ولما وصل خبره إلى أحمد باشا سار لقتاله، ونشب بين الفريقين معارك هائلة، انتهت بقتل خليل باشا وفرار جنوده.[6]

فلم يكن اهتمام أحمد بك بالحصول على فرمان التولية من السلطان، بل كان يعمل على تثبيت دعائم حكمه، وذلك بتطهير البلاد من عدد كبير من زعماء الإنكشارية الذين يشك في ولائهم.[7]

---

[1]- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج2، ج2، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص 439.

[2]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 263.

[3]- بروشين نيكولاي إيلتش، المصدر السابق، ص 104.

[4]- محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، تر: عبد السلام أدهم، محمد الأسطي، منشورات الجامعة الليبية، بيروت، ص 159. 159.

[5]- الطاهر الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1980م، ص 223.

[6]- راسم راشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، دار النيل، القاهرة، ط1، 1953م، ص 93.

[7]- عمر علي بن اسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا، مكتبة الفرجاني، طرابلس ، 1966، ص 38.

فالدولة العثمانية كانت غير راضية عن ذلك التنصيب الذي حدث ضد إرادة السلطان وقررت عزله بالقوة، إلا أنها فشلت واضطرت إلى غض النظر، بعد أن رأت التأييد الذي كان يحظى بيه أحمد القرمانلي.[1] واستمر أحمد بك بالولاية وأتاه فرمان أمير المؤمنين (السلطان أحمد خان الثالث) بتقليد الولاية، ونفذت أوامره وبايعه أهل طرابلس ، وجعل الحكم وراثي في الأسرة القرمانلية.[2]

ج.احمد يتصدى للثورات وتمردات الداخل.

اتجه احمد بجهوده للعمل ضد العرب في الدواخل، ففي صيف 1713 تحالف سكان تاجوراء مع سكان ترهونة وقسم من أولاد حامد بن جارية، وقد تمكن من التغلب عليهم، ودخول إلى تاجوراء وترك شقيقه الحاج شعبان بن يوسف حاكما عليهم، وبعد ذلك قام المتمردون بمهاجمة الحاج شعبان في قلعة تاجوراء التي دافع عنها، ووضعت قلعة تاجوراء مرة أخرى تحت قبضة الحديد والنار، وفرضت عليها ضرائب فادحة حتى لا تكون قادرة على العصيان.[3]فكان العصيان.[3]فكان التواجير يطوون أفئدتهم على ضغينة لأحمد القرمانلي الذي سلب أموالهم ظلما، فحاصروا شعبان بك في قلعة تاجوراء مبيتين القبض عليه لقتله وعندما علم أحمد بهذا التعدي فإنه وجه ضد المتمردين جميع الفرسان الواحدة، وهكذا تم تخريب مدينة تاجوراء.[4]

وفي خريف 1718م قاد أحمد القرمانلي حملة على صاحب فزان بعد أن رفض دفع الخراج، وفي نفس الوقت هزم أخوه شعبان، وبعد أن حاول من جديد الخروج على سلطة الدولة، و لم يستطع أحمد القرمانلي في هذه الحملة أن يسيطر على مرزق التي أغلقها السلطان في وجهه، وانتقاما من الأهالي الذين رفضوا الخضوع أباح لجنوده وأعوانه نهب البلاد مثل منطقة قطرون.[5]

[1]- وليد خالد يوسف، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج 19، ع 06، حزيران 2013م، ص 284.

[2]- أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، ليبيا، دت، ص 286.

[3]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 329.

[4]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 276.

[5]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 331.

لما ادعى النبوة علي بن عبد الدين بن عبد النبي –الملقب أبو كيلة– وهو مغربي الأصل، بدأ نشاطه ضد أحمد القرمانلي في جبل نفوسة، وانضمت إليه بعض القبائل، فكان أصحابه ينهبون السكان ويقتلون من يقاومهم، واتجه أنصار النبي الدّعي بدعوتهم إلى الجبل الأخضر في برقة حيث تأتى لهم أن يعلنوا ثورة وأن يجمعوا جيشا، نهض أحمد القرمانلي على رأس جيوشه المتفانية في سبيله و لم ينتظر عدوه عند مشارف طرابلس بل خرج للقائه واشتبكت المعركة في منطقة سرت انتهت بقتل النبي وأسر المتمردين.[1]

د ــ عهد محمد باشا وعلي باشا.

1.عهد محمد باشا.

أولا ــ الثورات الداخلية سنة 1745م.

توفي أحمد القرمانلي ليلة الثالث من نوفمبر سنة 1745م، فنودي بابنه عاملا للبلاد منذ صبيحة اليوم التالي 09 شوال سنة 1158هـــ، وشيع جثمان الباشا الراحل في نفس يوم تولي ابنه العرش،[2]فتقد الأهالي بعد ذلك يعلنون بيعتهم له كما اعترف به السلطان واليا على البلاد.[3]

كان على محمد باشا أن يظل على الدوام متيقظا للأخطار التي تواجهه بسبب المؤامرات التي كانت تحاك ضده،[4] وقد أظهر رغبته في الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع فرنسا وذلك بحسن استقباله للقنصل كوليت coullet الذي وصل غلى طرابلس، وتسلم أعباء منصبه في شهر يونيو من تلك السنة، و لم يكن يرمي إلى غرض آخر من إرسال تلك السفارة إلى ملك فرنسا، وقد عين لهذه السفارة صهر أحمد بن حسن كخيا الذي ينتمي إلى أسرة شغل جميع أفرادها أعلى المناصب منذ زمن بعيد، وكان يتمتع بسلطة واسعة في الدولة، ولكنه اتهم فجأة هو ووالده في 21 فبراير سنة 1745 بالتآمر للاستيلاء على الحكم،[5] ففي نهاية سنة 1745 قتل حسن كاهية وابنه

[1]– بروشين نيكولاي إيليتش، المرجع السابق، ص 111.

[2]– شارل فيرو، المصدر نفسه، ص 309.

[3]– عمر علي بن إسماعيل، المرجع نفسه، ص 45.

[4]– أتوري روسي، المرجع السابق، ص 349.

[5]– رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 85.

أحمد،[1] ولقي نفس المصير أحد إخوته الثلاثة، ونجح الثاني في الالتجاء إلى تونس، أما الثالث وهو مصطفى الذي كان يعيش في درنة بصفته حاكما لها، فإنه اضطر إلى الهرب بمجرد أن علم بخبر هذه الكارثة التي ألمت بأهله.[2]

كما خنق في العام التالي رئيس البحرية وابنه لأنهما كانا ينتميان إليه بصلة القرابة، بعد أن ثبت لديه تآمرهما ضده، وقد أرادا ولدا حسن كاهية الانتقام لأبيهما وأخيهما، فجاءا على رأس قوة من المسلحين،[3] انضم إليهم آخرون وهم في طريقهم إلى طرابلس، وكان ثاني الشقيقين جريئا إلى حد التهور، فقام من جانبه بحشد أنصاره حوله في تونس،[4] ولكنهما هزم إزاء الهجمات المتوالية التي شنها عليهما سكان الدواخل،[5] بيد أنه لحسن حظه محمد باشا أنه وجد لدى كبار إقطاعيي طرابلس سندا قويا له، فإن الكراهية العرقية بين العرب والأتراك لعبت دورا هنا، فما كان من بادية سرت إلا أن عاثوا في أولئك الأتراك المغيرين على طرابلس تقتيلا، كما أدت الحرب التي كانت قائمة آنذاك بين التونسيين والجزائريين إلى عرقلة هجوم ابن حسين كاهية من تونس، فلم يظهر مؤقتا على مسرح الأحداث. فاتفق الشقيقان على خطة أخرى للثأر وقرروا توحيد مساعيهما معا، وجمع أتراك طرابلس حولهما للقيام بثورة، وبعد أن جعلا غريان مركزا لعملياتهم، قاما باستقطاب عدد كاف من المتذمرين على حكم القرمانلي وحرضوهم على الهجوم على طرابلس، وظلوا أكثر من شهر معسكرين قبالة المدينة دون أن ينجحوا في استدراج قوات القلعة إلى الدخول معهم في معركة، وإذ ملت فلول المتذمرين ذلك الانتظار الطويل، فإنما تشتتت من تلقاء نفسها وقفلت راجعة إلى جبالها.و هكذا فقد وجدا الشقيقان التركيان أنفسهما وحيدين فما كان منهم إلا أن هربا إلى تونس.[6]

---

[1]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 349.

[2]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 85.

[3]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 349.

[4]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 311.

[5]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 346.

[6]- المرجع نفسه، ص 346.

ثانياً ــ العلاقات مع الدول الأوروبية الكبرى.

أظهر محمد القرمانلي في أيام حكمه الأولى معارضة لأعمال الغزو والمغامرات،[1]إلا أنه لم يتوقف القراصنة الطرابلسيون في عهده عن خرق المعادهات القائمة مع الدول الكبرى.[2] بما أن قراصنة طرابلس استولوا في سنة 1728 على عدد من المراكب الفرنسية جاء الاميرال غرانريه (grandpré) بأسطول خاص أمام الميناء وتمكن من الحصول على معاهدة.[3]

وكانت العلاقات مع مملكة نابولي،[4]وبدا أنه لابد من الحرب ضدها، ولكن الطرفين وصلا بعد ذلك إلى اتفاق.[5]العلاقات سلمية مع النمسا، ففي 31 ديسمبر 1748 حضر مفوض من توسكانا إلى طرابلس للتفاوض باسم صاحب الجلالة، وأخيرا رفع العلم فوق القنصلية النمساوية.[6] النمساوية.[6]

حتى إنجلترا في 29 شوال سنة 1164هـ الموافق لـ 20 سبتمبر 1751 استطاعت حمل الباشا على عقد معاهدة نصت إحدى موادها على أن تكون الإيالة الطرابلسية على الحياد في حالة حرب بين إنجلترا وتونس أو الجزائر.[7]

2.عهد علي باشا.

أولا ــ الأوضاع الداخلية في عهد علي باشا:

[1]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 86.
[2]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 346.
[3]- محمود ناجي، المصدر السابق، ص، ص 161 162.
[4]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 346.
[5]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 86.
[6] - أتوري روسي، الممرجع السابق، ص 346.
[7]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 46.

استطاع علي القرمانلي أن يخلف والده محمد باشا دون أي معارضة وذلك بفضل الإجراءات التي اتخذها الإنكشارية الذين كانوا يلتفون حوله،[1]وبايع الشعب عليا، وهو لا يزال صغيرا في مستهل شبابه، كان شخصية ضعيفة ومتخاذلة،[2]قد وجد نفسه في البداية مشمولا بمحبة الشعب، ولكنه لم يلبث طويلا حتى أخذت تهدده مؤامرات بعض الزعماء المطالبين بمنصب القيادة،[3] كان عديم الخبرة وغير ميال إلى العمل، وقد ترك الإنكشارية يحكمون البلاد باسمه فتركزت في أيديهم أعلى مناصب الدولة وأصبحت لهم السيطرة، وتغلبوا تماما على شخصيته الضعيفة، وسيطروا عليه لمصلحتهم الخاصة.[4]كما حالوا بينه وبين صرخات المظلومين وحكمت البلاد حكما إنتهازيا.[5]

وفي الوقت الذي أفسد إبان حرب المغامرات العلاقات الطيبة التي كانت تحتفظ بها حكومة نيابة طرابلس الغرب مع الدول الأوروبية في السنوات العشر الأخيرة، كانت الاضطرابات والقلاقل قد بدأت في داخل البلاد إذ بذل الإنكشارية جهدهم حتى يجعلوا الباشا يشتبه في أمره ويشك في إخلاص كل من كان محل ثقة الشعب وحبه.[6]

ونظرا لحاجته الشديدة إلى المال فقد جعله الإنكشارية يفرض ضرائب باهظة على الأهالي فأثقل كاهلهم بها، كما جعلوه يصدر أحكام الإعدام على كل من كان محل ثقة الناس واحترامهم و لم يسلم من ذلك حتى عمه نفسه المدعو خليل والذي كان يحتل منصب باي درنة، فعمت البلاد بذلك موجة من السخط والاضطراب،[7]و لم يرق لبعض ذوي الطموح استمرار الأسرة القرمانلية في في الحكم، وكان علي باشا على علم بالمؤامرات الفتي تحاك ضده، فقام في مطلع 1756 بخنق

[1]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 90.

[2]- كوستانزيو برنيا، طرابلس من 1510 إلى 1850، تر: خليفة محمد التليسي، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط01، 1985م، ص 229.

[3]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 352.

[4]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 90.

[5]- عمر بن علي إسماعيل، المرجع السابق، ص 47.

[6]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 91.

[7]- عمر بن علي إسماعيل، المرجع السابق، ص 48.

الخازن ونفي رئيس البحرية، وكانت أخطر هذه المؤامرات تلك التي نظمها في سنة 1758 مصطفى أبو شاكر قريب الأسرة القرمانلية وأسرة المكين، وقد حاول المتآمرين إثارة سكان المنشية والساحل أثناء الليل، ولكنهم أخذوا في الوقت المناسب، وقتل مصطفى بينما سجن إبراهيم المكي في القلعة.[1]

ونظرا لحاجته الشديدة إلى المال فقد جعله الإنكشارية يفرض ضرائب باهظة على الأهالي، فأثقل كاهلهم،[2] كما أصيبت البلاد في عهده بالقحط،[3]في عام 1767 أدى إلى هجرة كثير من السكان إلى مصر وتونس، وإصابة الآخرين بأمراض كان بعضها معديا كالكوليرا،[4] وابتليت ولاية ولاية طرابلس في مايو 1785 بانتشار الطاعون، وبلغ عدد الضحايا في بعض الأيام ألف ومائة، أغلبهم من العرب واليهود، نتج الإرسالية الفرنشيسكانية من هذا الوباء إذا أصيب القساوسة الثلاثة الذين كانوا في المدينة وسرت إليهم العدوى نتيجة إسعافهم للمصابين.[5]

وكانت نتيجة هذه الظروف جميعها هو فقد قوات الباشا لسيطرتها على زمام الأمور في البلاد وانتشرت الفوضى واشتعلت نار الحرب بين القبائل،[6]تزايدت الصدمات بين قبيلتي أولاد سليمان والفرجان وكانت ترهونة الشاهد على الاشتباكات الدامية بينهما، واشتعل الصراع القبلي بين قبيلتي النوائل ورشفانة وهم حلفاء المحاميد.[7]

و لم تكن برقة أحسن حال من طرابلس، ففي برقة اشتدت نار الحرب بين الجبارنة والفوايد ثم بين العلايا والجوازي فكانت نتيجتها هجرة القبائل المغلوبة إلى مصر.[8]وازداد الوضع الاقتصادي

---

[1]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 353.

[2]- عمر بن علي إسماعيل، المرجع السابق، ص 48.

[3]- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا تونس الجزائر المغرب)، ط01، مكتبة الانجلومصرية، القاهرة، 1977م، ص 136.

[4]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 98.

[5] - كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص 231.

[6]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 49.

[7]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 130.

[8]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 50.

الاقتصادي سوء بسبب توالي سنوات الجفاف أيضا، ولما كان علي القرمانلي يعاني من المصاعب الاقتصادية فقد عجز عن دفع مرتبات الجند والبحارة بصورة دورية وهو ما أدى إلى ضياع الثقة بالحاكم ضمن الجيش والأسطول أي إلى الضعف المعتبر لركيزة نظامه وأدى ثانيا إلى تفشي السرقة والنهب في البلاد فقد أصبح الوسيلة الأساسية لوجود الجند.[1]

لقد يئس الأهالي من الإصلاح ورأوا أن الباشا لم يعد في إمكانه القيام بأي عمل من شأنه أن يعيد البلاد إلى سالف عهدها، ويضمن المطمئنة الهادئة فاجتمع أعيان البلاد للتشاور فيما يفعلون واستقر رأي الجميع على ضرورة الالتجاء إلى الدولة العثمانية لتخليصهم مما هو فيه من ضيق وفوضى واضطراب.[2]

أما مناوئو الإدارة التركية المباشرة فكانوا يتجمعون حول أولاد علي القرمانلي الثلاثة: حسين، أحمد ويوسف الذين يتعطشون إلى شغل منصب الوالد،[3]فلما سمع بذلك يوسف بك أصغر أصغر أولاد علي باشا توقع عزل والده وقدوم وال آخر من الخلافة فصمم على اتخاذ الوسائل الموصلة، بزعمه لأخذ زمام الولاية بيده، وكان وقتئذ الشيخ خليفة بم عون المحمودي شيخ قبيلة بني نوير صاحب نفوذ، فكتب إليه بعجز والده عن القيام بأعباء الولاية لطعنه في السن، وإنه يخشى على البلاد من بعض الأيادي الأجنبية، واستمده على الولاية فأجابه بالموافقة وأنه مستعد لمظاهرته عند سنوح الفرصة، أخذ يفكر في رسم خطة لتحقيق أمله في الحكم، وكان لابد لتحقيق هذا الأمل من التخلص من أخيه الكبير البك حسن الذي من حقه أن يكون وليا للعهد.[4]

ففي يوم الجمعة 20 يوليو 1790 ذهب إلى القلعة ودخل على والدته وأبلغها برغبته الأكيدة الراسخة في التصالح مع أخيه، فاستدعت لالة حلومة ابنها حسن بك حتى تتم المصالحة بحضورها،[5]فوصلت رسالة سرية تعلمه أن أخاه سيدي يوسف مجرد من السلاح ينتظر حجرة أمه

[1]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 130.

[2]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 50.

[3]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 132.

[4]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 51.

[5]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 366.

لإنهاء الخصومة وعقد الصلح معه وأن أمه تمني نفسها بتلك الأمنية يوضع بأيديهما معا وأنه، قسما برأس الباشا، إذا كان البك يجيبها، فإنه يجب أن يأتي إلى حجرتها مجردا من السلاح، تحمس البك للفكرة فاستجاب من أول وهلة بصورة تلقائية مسلحا نفسه بالمسدسات والسيف، ليلبي مطيعا الدعوة للحضور، حين دخل البك إلى حجرة أمه شهدت سيفه، فرحبت ملتمسة مؤكدة بأن أخاه مجرد من السلاح أن يضع سيفه جانبا قبل أن يدخلا في الحديث، سلم البك سيفه طواعية وبكل رغبة إلى أمه، التي لا يمكن أن يرقى لها شك، فأخذته من أمه، ووضعته في نافذة.[1] وتبادل الأخوان الحديث، بعض الوقت أمام الأم، ثم أقسما على المصحف بأن يعيشا في وفاق ووئام في مستقبل الأيام، ثم أشار سيدي يوسف إلى عبيده فسلموه مسدسين، فأطلق النار فجأة على البك[2] الذي كان يجلس بجوار أمه، وقد رفعت لالة حلومة يدها لحماية ابنها، ولكنها أصيبت بجروح فيها، وحاول البك أن ينهض ليوجه سيفه إلى يوسف الذي بادر فأفرغ فيه المسدس وأصابه في قلبه.[3]

ومما زاد في حسرة لالة حلومة وفجيعتها خلال المشهد المريع أن البك الذي اعتقد بأنها هي التي دبرت المقابلة لاغتياله قد أخذ يهتف بها قائلا: "آه يا أمي هل هذه هي آخر هدية جئت بها في جعبتك لولدك البكر؟ وعندما رأى سيدي يوسف أخاه يسقط مضرجا بدمائه، ونادي خدمه قائلا لهم: "ها هو البك يلفظ أنفاسه الأخيرة، فأجهزوا عليه"[4]

بعد أن ارتكب يوسف هذه الجريمة أسرع بالخروج من مسكن أمه، فإلتقى في الفورة الأولى لجريمته لعمه أو خاله عند السقيفة وهو الكيخا فسأله في قلق عن سبب إضطرابه الغريب فما

---

[1]- الآنسة توليلي، عشرة أعوام في طرابلس، تر: عبد الجليل طاهر، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، دط، 1967، ص 370.

[2]- تعددت الروايات حول قتل يوسف لأخيه حسن بيك، وهناك من يقول أنه قطع يد والدته، لكن القطع الذي قصده أحمد النائب في كتابه المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب هي الجرح وليس البتر. ينظر: علي عمر ابن إسماعيل،المرجع السابق، 1795 1835م، ص 52.

[3]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 367.

[4]- شارفيرو، المصدر السابق، ص 347.

كان منه إلا أن أمر عبيده فقتلوه[1] وخرج بعد ذلك من القلعة ولجأ إلى بيته الريفي يتبعه رفاقه.[2] قد تألم الأهالي لموت البك،[3]وقد أثار في المدينة كثيرا من الاضطراب والارتباك والرعب، و لم يكن هذا الخوف مقصورا على أنصار القتيل الذين كانوا يخشون سوء المصير، فإن أقاربه وأصدقاؤه وكبار المواطنين ما كانوا ليجرؤوا على التعبير عن ألمهم عندما دفن سيدهم في عصر ذلك اليوم.[4] لم يفعل الباشا شيئا للقاتل، بل اكتفى بطلب الرحمة للمقتول وأرسل في طلب ابنه أحمد من مصراتة، كما أرسل إلى ابنه يوسف مسبحته كدليل على الأمان.[5]

ه ــ العلاقات مع الدول المسيحية:

ولما كان علي القرمانلي يؤثر على حل النزاعات بطريقة سلمية فإنه أولى اهتماما خاصا لنشاط جهاز الدولة لشؤون السياسة الخارجية والذي أنشأه فور توليته السلطة، وكان من مهام هذا الجهاز تسوية الأمور المتنازع عليها في ميدان السياسة الخارجية: امتصاص نقمة الممثلين الأجانب من ضحايا القرصنة، تلقي وإرسال الهدايا، إيفاد واستقبال السفراء وتبادل الرسائل وسوى ذلك.[6]

وعقدت في 10 سبتمبر 1784 إتفاقية صداقة وتجارة بين طرابلس وإسبانيا، وقد تضمنت فيما تضمنت من مواد المادة 18 التي تحدد رسوم الميناء على أساس 27 قرشا على كل سفينة ترسو بميناء طرابلس، وتعفي السفن من دفع الرسوم على الرسو في الموانئ الأخرى التابعة للملكة أو الإيالة ولا يلزم الربان بتسليم المقود والأشرعة (المادة 23)، وتم تعيين أول قنصل لإسبانيا بطرابلس.[7]

---

[1]- مؤلف مجهول، التكملة تاريخ إيالة طرابلس حكم علي القرمانلي باشا طرابلس الغرب 1793م، تح يان فنينا،تر عبد الرحيم الأربب، نق وتع خالد الأمير المغربي، منشورات مركز جهاد الليبيين الدراسات التاريخية، دط، 1980م، ص 62.

[2]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 113.

[3]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 367.

[4]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 117.

[5]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 51.

[6]- نيكولاي إيليتش،لمرجع السابق اص 127.

[7]- أتوري روسي، المرجع السابق ص 363.

عند منتصف القرن الثاني عشر كانت إيالة طرابلس الغرب تقييم علاقات ودية مع مالطا، لكن القراصنة المالطيين استولوا سنة 1765 على سفينة طرابلسية وأسروا طاقمها وفي العام التالي قام الحاج محمد آغا بالسفر إلى مالطا وحل المشكلة.[1]

وفي يوم 23 أكتوبر 1784 وصل الأميرال البندقي "أنجيلوإيمو" angeloemo الذي كان يعمل بأسطوله ضد بيك تونس، وصل مع بعض سفنه إلى مياه طرابلس، واستقبله الباشا استقبالا حافلا، وجدد معه المعاهدة السابقة التي كانت تعطي البندقية دون غيرها امتياز استخراج الملح "بوكماش" نظير مبلغ ستة آلاف زنكي سنويا فضلا عن نفقات العمال المستخدمين في استخراج الملح.[2]

إن جمهورية البندقية تنازلت فيما بعد عن امتيازاتها إلى ميلانو، ورغم العلاقات السلمية الودية القائمة مع البندقية فقد ساعد علي باشا القرمانلي، حمودة باشا باي تونس، ووقف إلى جانبه في الصدام الذي وقع بين تونس والبندقية في 1784-1792 وأرسل إليه المدافع والأسلحة.[3]

وفي سبتمبر سنة 1786 وصل إلى ميناء طرابلس أسطول هولندي وقدم قائده هدايا ثمينة إلى الباشا حتى يعدل عن إرسال سفيره إلى مدينة لاهاي، ولكنه لم ينجح في غرضه إذ رغم احتجاج القنصل الهولندي سافر في آخر مارس سنة 1788، وتأثر الباشا كثيرا بسبب الاستقبال الغير الودي الذي لقيه هذا السفير، وأمر القنصل الهولندي بمغادرة البلاد،[4]وقد عاد هذا القنصل بعد مدة حاملا إلى الباشا هدية بمبلغ ألفي دوكاتو.

كما جر تزايد نفوذ القرصنة في طرابلس الغرب وراء التدعيم التالي لمراكز فرنسا في الإيالة، فقد استغل الفرنسيون هجوم قراصنة طرابلس على سفينة جنوبية كانت في المياه الإقليمية لفرنسا

[1]- نيكولاي إيليتش بروشين،المرجع السابق ص 127.

[2]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص ،ص 104 105.

[3]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 364.

[4]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 105.

ليوجههم.[1] سنة 1766 إلى ميناء طرابلس حملة بحرية تضم ثماني سفن حربية بقيادة بوقيمون الذي استطاع أن يفرض على علي القرمانلي خمسة تعديلات على اتفاقية السلام لعام 1728، وقد أضرت هذه التعديلات بمصالح الإيالة وألزمتها بألا تقوم منذ سنة 1766 بأية عملية تستخدم فيها القوة ضد السفن الفرنسية والدويلات الواقعة تحت الحماية الفرنسية.[2]

يبدو أنه بقتل الباي قد أزاح يوسف العقبة الرئيسية في طريقه نحو السلطة،[3]فأخذ يخطط للاستيلاء على الحكم في البلاد.[4] حينما طلب أحمد من أبيه أن يعينه بيكا خلفا لأخيه، لم يمانع في ذلك واشترط لتحقيق هذا المطلب موافقة يوسف على ذلك.[5]

نظم لقاء بين الأخوين حاول يوسف خلاله أن يقنع أحمد بأن حسنا قتل أثناء شجار عنيف اللهجة بينهما وأكد خلال ذلك استعداده للاعتراف بأحمد بيكا وأكد له تنازله عن كافة حقوقه في طرابلس الغرب،[6]فرجع أحمد بهذا اللقاء إلى المدينة واستلم من والده القفطان على علامة على تعيينه بيكا وكذلك خيول وسلاح البك السابق.

وفي 20 يوليو 1790 أعلن رسميا في التعيين وأقيمت الحفلات وأطلقت المدافع تحية للبك الجديد وتوجه قناصل الدول إلى القلعة للتعبئة.[7] فبعد فترة قصيرة أصدر والي إيالة طرابلس الغرب أمرا بتعيين يوسف حاكما على مصراتة التي كانت قبل ذلك تحت إمرة أحمد،[8]فرفض أهالي مصراتة قبول يوسف حاكما عليهم، وأرسلوا إلى البك رسالة يعلنون فيها عن استعدادهم لقبول

---

[1]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 364.

[2]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 129.

[3]- كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، تر: عبد القادر مصطفى المحيسى، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، دار الكتب، طربلس، ط1، 1988، ص 22.

[4]- محمد الهادي عبد الله بن عجيلة، النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية 1711-1835م وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية، منشورات جامعة فاز يونس، بنغازي، ط1، 1997، ص 193.

[5]- عمر علي ابن إسماعيل، المرجع السابق، ص 54.

[6]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 136.

[7]- عمر علي ابن اسماعيل، المرجع السابق، ص 54.

[8]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 136.

أي حاكم آخر يرسله الباشا إليهم عدا يوسف الذي لازالت يداه ملطختين بدم أخيه، أما يوسف اعتبر هذا الرفض إهانة له وتعزيزا لمكانة البك الجديد، فعمل على تفريق البك وأنصاره من أهالي مصراتة، فطلب من والده إرسال جملة بقيادة البك لتأديب سكان مصراتة،[1]فسببت الحملة دمارا شاملا للمقاطعة وبؤسا كبيرا للسكان.[2]

لم يطمئن أحمد بعد رجوعه من مصراتة لعهد أخيه المفاجأة وكون حرسا يبلغ عدده حوالي الأربعمائة، كما اقترح على والده تعيين يوسف حاكما على برقة، فوافق يوسف على هذا العرض لعلمه بأن سكان برقة كانوا يكرهون حكم أحمد ويودون التخلص منه، فأراد يوسف استغلال هذه الفرصة فيوحد صفوفهم للزحف بهم إلى طرابلس.[3]

و ــ علي برغل يستولي على السلطة[4].

عندما اعتلى السلطان سليم الثالث عرش الإمبراطورية التركية كان مصمما، كل التصميم على النهوض بتركيا من كبوتها وبعد عقد الصلح ياسي jassy عزم على تعديل مشروع الإصلاح الذي كلفه فيما بعد عرشه وحياته.[5]

ولما تحقق علي برغل باشا الجزايري الذي ينتمي نسبه لمدينة الجزائر[6] ضعف الإيالة وما ألم بها واختلاف أمرائها وثب عليها، وكان ذا رتبة بالجزائر،[7]وهو إنكشاري من بلاد جورجيا أقام

---

[1]- عمر علي ابن إسماعيل، المصدر السابق، ص 54.

[2]- كولا فولايان، المرجع السابق، ص، ص 26- 27.

[3]- عمر علي ابن إسماعيل، المرجع السابق، ص 57.

[4] - علي برغل: تعددت التسميات له، منها علي الجزائرلي، علي باشا برغل وسمته الآنسة توللي صاحبة كتاب عشرة أعوام في في طرابلس بعلي ابن زول، ينظر: عمر علي ابن إسماعيل، إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835.هناك مصادر تقول أنه يوناني الأصل ومصادر تقول بأنه من جورجيا.

أما البرغل فهو نوع من الطعام المعمول من القمح المجروش، حيث يتم طبخه في الزبدة أو الزيت وكان لا يقدم سواه للقراصنة أثناء غزواتهم البحرية ومن هنا اشتهر بهذه التسمية ينظر: شارل فيرو،المصدر السابق، ص 353.

[5]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 120.

[6]- محمد بن غلبون الطربلسي، تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تص وتع الطاهر أحمد الزاوي، القاهرة، دط، 1349ه،ص 139.

[7]- أحمد بك الأنصاري، المصدر السابق، ص300.

في الجزائر حيث عمل بحارا ومغامرا، ثم وصل إلى منصب رئيس البحرية، وبعد أن فقد مركزه لجأ إلى القسطنطينية والذي شجعه على القيام باسترداد الولاية طرابلس وإعادة إقرار النظام بها، وتعهد بإعداد حملة على نفقته الخاصة، كما تعهد أن يدفع للباب العالي الجزية السنوية بانتظام إذا نجح المشروع،[1] ولما حصل على عهد الولاية جمع عسكراً من المتطوعة الترك أكثرهم أرناؤوط.[2] واكترى تسعة مراكب فحملهم وجهزهم بما يلزم من الأتوات والسلاح وقصد بهم مدينة طرابلس، وكان وصوله إليها في إحدى وعشرين ذي الحجة[3] عند الساعة الثانية من الظهر.

وبينما كان يوسف يشدد في حصاره على المدينة، والباشا يعلن عن مكافأة مغرية لمن يأتيه برأس يوسف سواء كان حيا أو ميتا، إذا لاحت في البحر طلائع بعض السفن عليها العلم العثماني، فظن الناس أن الدولة العثمانية استجابت لنجدة الباشا ولإقرار الأمن في البلاد،[4] وتقدم إلى طرابلس طرابلس بحوالي 300 رجل و لم ينزل إلى البر، واكتفى بأن يحتل قسم من جنوده حصن بيت رايس وأبلغ الأهالي، يوم وصوله بفرمان السلطان الذي يتعلق بفرمان السلطان الذي يعلن تنحية أسرة القرمانلية، وتولية علي برغل.[5]

فيما يتعلق بالفرمان السلطاني فقد صيغ بأسلوب مبهم، بحيث يمكن اعتباره فرمان أصلا أو مزيفا،[6] وسبب هذا الغموض الذي يحط بمصداقية الفرمان وجود وثيقة في المتحف التاريخي بطرابلس، وهي تقرير صدر الأعظم المقدم إلى السلطان التركي والمتعلق بالأحداث المرتبطة بالاستلاء علي الجزائري على طرابلس.

---

[1]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 120.

[2]- أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مر و تع أحمد الطويلي، دار التونسية للنشر، ط02، 1979 ، ص 30.

[3]- أحمد بك الأنصاري، المصدر السابق، ص 301.

[4]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 352.

[5]- عمر علي ابن إسماعيل، المرجع السابق، ص 58.

[6]- كوستانزيو برنيا، المصدر السابق، ص 235.

إن دراسة هذه الوثيقة تقضي إلى الاقتناع بأن السلطان التركي والصدر الأعظم ما كان على علم بنوايا علي الجزائري في الاستيلاء على طرابلس كان مزورا فقد جاء تقرير الصدر الأعظم أنه بعد أن استولى على القلعة وطرد واليها أظهر فرمانه الذي زيفه وأعلن أنه مأمور من قبل الدولة العليا.[1]

وحينما رأي علي باشا القرمانلي أن أنصاره قد تحولوا إلى علي برغل بادر بجمع أعضاء الديوان للتشاور معهم في الأمر، وكانت مفاجأته شديدة حينما أعلن أعضاء الديوان ضرورة تسليم المدينة لعلي برغل لأنه جاء بأمر السلطان، وأن مقاومته تعد خروجا على طاعة أمير المؤمنين ونقضا لبيعته عوان البلاد وأن استطاعت الانتصار على علي برغل فهي ليس لها قوة للوقوف أمام الأسطول العثماني.[2]

ثم أفرحوا له من الفرح بعد الشدة فتمكن علي باشا برغل من المدينة وقلاعها وأنزل آلاته وذخائره وخرج علي باشا القرمانلي بينه وبين والي الجزائر أخ علي باشا برغل المشار إليه عداوة، فلربما قوم فوائد، ولحق به أبناء علي بك ويوسف بك بتونس،[3]وحينما وصلوا إلى الحدود التونسية وجدوا في انتظارهم مندوب باي تونس ولجنة مشكلة من أعيان المدينة لاستقبالهم، وبعد استراحة قصيرة في الحدود التونسية، واصلوا سيرهم إلى مدينة تونس حيث قابلهم الباي بكل مظاهر التقدير والاحترام.[4]

وعلى إثر مغادرة يوسف طرابلس الغرب توقفت العمليات القتالية في الإيالة، وعقد الأهالي أما لهم على العاهل الجديد في إقرار السلام والهدوء في الإيالة، أما علي الجزائري فإنه بدوره لم يبخل في بذل الوعود بأن إيالة طرابلس الغرب ستصبح تحت حكمه واحدة من أكثر مناطق الإمبراطورية العثمانية عظمة وازدهارا.[5]

---

[1]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 354.

[2]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 143.

[3]- أحمد بك الأنصاري، المصدر السابق، ص، ص 301 302.

[4]- عمر علي ابن إسماعيل، المرجع السابق، ص 65.

[5]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 143.

وحينما أراد القناصل المجيء إليه لتهنئته باسم حكوماتهم أصدر أمرا لم يعتادوه من قبل، فقد طلب منهم أن يتركوا سيوفهم ويخلعوا أحذيتهم وأن يقبلوا يديه حين الاجتماع،[1] وعمل هؤلاء من جانبهم على عدم زيارة القلعة، وحاول أن يتجنب استعداء الموظفين والخدم، ووجه جهوده لممارسة ضغط عنيف على الشعب.[2]

كان علي برغل في حاجة شديدة إلى المال لكي يستطيع به مواجهته أعيان دولة، ولكي يسدد به راتب جنده الذين ما حضروا إلا من أجل المال.[3] فبدأ البحث عن مصادر للدخل وحاول إرغام الحكومات الأجنبية على أن تزيد من دفع الإتاوات لضمان السلم والاستقرار في المياه الساحلية من طرابلس الغرب، ثم قبض على جميع عبيد العائلة القرمانلية وأرسلهم إلى آسيا لبيعهم من أجل الانتفاع بثمنهم، كما قبض على "أستر"، أو كما يسميها أبناء جنسها من اليهود باسم الملكة "أستر" عشيقة علي باشا القرمانلية وصاحبة نفوذ عليه، وهددها بالقتل إن لم تدفع له مبلغا كبيرا من المال لعلمه بما لها من ثروة.[4]

وامتص علي برغل دماء الشعب وأرهقه ل، وفرض على الجالية اليهودية جزية مقدارها 240 ألف فرنك، بعد أن هددها بالقتل والفقر، وقتل عددا من الأعيان بأسباب تافهة واهية صادر أموالهم لمصلحته الخاصة، وساءت علاقته بصورة علنية واضحة مع والي تونس الذي كتب إلى السلطان، يشكو من الوالي الجديد بطرابلس وتنكره لعلاقات الجوار، وتحريضه العملاء ضد الولاية المجاورة.[5]

وبالجملة فقد كانت الحكومة إرهابية بمعنى الكلمة، وبقيت ذكراها في نفوس الأهالي زمنا طويلا،[6] فسئموا هذه الحياة المملوءة بالآلام والاحزان وفكر بعض سادتهم بأنه لا جدوى من

---

[1]- عمر علي ابن إسماعيل، المرجع السابق، ص67.

[2]- كوستانريو برنيا، المرجع السابق، ص 236.

[3]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 143.

[4]- عمر علي ابن إسماعيل، المرجع السابق، ص 68.

[5]- كوستانريو برنيا، المرجع السابق، ص 236.

[6]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، 124.

الدخول في صراع مع هذا المتوحش الذي فقد كل القيم الإنسانية وهذا هم تفكيرهم إلى ضرورة الإيقاع بينه وبين حمودة باشا باي تونس لعله يشفي ما في صدورهم من نار الحقد والكراهية لهذا الدخيل، فاتصل بعضهم بعلي برغل محاولين إقناعه بضرورة الاستيلاء على جربة لكثرة خيراتها وأنها كانت تابعة لطرابلس، وأنها لو كان حكام الأسرة القرمانلية في مثل قوته وشجاعته لبقيت جربة تابعة لطرابلس الآن،[1] وأن هذه الجزيرة قريبة منا وعسكرنا حاضر مستعد للقتال.[2]

وكان علي برغل يشعر بحقد على رئيس الحكومتين الأخريتين المجاورة في إفريقية وعلى الأخص بيك تونس، سواء باستضافته لآل القرمانلي، أو لأنه كان يخشى تدخلها في الشؤون الطرابلسية.[3]

وفي 24 ديسمبر 1794 توجه الجيش المكلف باحتلال مدينة جربة بقيادة قره محمد وساعده صالح حدود "حرامي" وخسروا خليل، وقد تمكن هذا الجيش من مباغتة سكان جربة ليلا وتمكنوا من احتلالها.

وبعد أن جمع ما يمكن جمعه من الأموال من الناس قهرا لإرضاء سيده على برغل، عين لحكمها من يثق في إخلاصه له ولسيده ورجع إلى مدينة طرابلس محملا بالأموال.[4] وعندما علم بيك تونس محمود باشا بخبر احتلال جزيرة جربة استعد للانتقام من هذه الإهانة، فإنه إذا كان قد استقبل علي القرمانلي وأولاده بكل ترحاب، فإنه إذا كان قد استقبل علي القرمانلي وأولاده بكل ترحاب، فإنه لم يكن يريد قط بأنه حال التدخل في شؤون الحكومة المجاورة، فجمع باشا تونس قوات كبيرة لاسترداد الجزيرة ولإعادة القرمانليين إلى الحكم.[5]

وقد كان هذا الاحتلال بداية لنهاية حكم الظلم والإرهاب في طرابلس لأن باي تونس كان يتحين الفرص لنجدة الأسرة القرمانلية بعد أن التجأوا إليه، وقد حل دون تحقيق ذلك خوف

[1]- عمر علي ابن إسماعيل، المرجع السابق، ص 89.
[2]- أحمد بك الأنصاري، المصدر السابق، ص 302.
[3]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 126.
[4]- عمر علي ابن إسماعيل، المصدر السابق، ص 70.
[5]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 127.

حمودة باشا من القيام بأي عمل عسكري قد يعتبره السلطان خروجا عن طاعته، وذلك لاعتقاد الباي بأن الفرمان الذي أخرجه علي برغل عند احتلاله لطرابلس كان حقيقيا.

ما إن احتل قره محمد جربة حتى قرر باي تونس القيام بعمل حاسم ضد هذا التحدي.[1]

وفي يوم نوفمبر سنة 1794 بينما كان الأسطول التونسي يقلع اتجاه جربة كانت تتحرك أيضا، حملة البيك وقوامها عشرين ألف رجل بما فيهم أحمد ويوسف القرمانلي بقيادة مصطفى خوجة، وبعد استيراد جزيرة جربة التي أخلاها قره محمد عند اقترابهم منها، اخترقت القوات التونسية الحدود وتقدمت في الأراضي الطرابلسية وعسكرت على طول طريق الرؤساء الموالين للأسرة الحاكمة المعزولة.[2]وتمكن القرمانليون من الاستيلاء على الحكم مرة ثانية وعادوا إلى البلاد.[3]

أما لتطورات الأحداث في إيالة طرابلس بعد هروب علي فإننا نجد أنه لما تحقق لحمودة باشا طرد علي برغل من جربة وطرابلس أرسل يوسف خوجة إلى السلطان العثماني للشرح والاعتذار عن محاربة علي برغل وتقديم الهدايا كدليل على الإخلاص.[4]

[1]- عمر علي ابن إسماعيل، المرجع السابق، ص 70.

[2]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 127.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 139.

[4]- عمر علي ابن إسماعيل، المرجع السابق، ص، ص 72- 73.

الفصل الأول

وصول يوسف باشا إلى حكم طرابلس الغرب

المبحث الأول: شخصية يوسف باشا القرمانلي.

المبحث الثاني: إنجازات يوسف باشا في طرابلس الغرب.

المبحث الثالث: الحرب الطرابلسية/ الامريكية (1801-1805م)

المبحث الرابع: علاقة يوسف باشا بالدول الاوروبية (فرنسا- الدنمارك- السويد)

المبحث الأول : شخصية يوسف باشا القرامانلي .

هو ابن علي القرامانلي وأخوه أحمد الثاني تولى حكم طرابلس عام 1210ه 1795م[1] وهو ملوث بدماء المظلومين من أسرته.[2] فوصفه العديد من الرحالة وذلك لشخصيته التي كان لها بروز:

فوصفته المؤلفة الانجليزية : إن مسلكه في مواجهة الأتراك الغاضبين قد أرغم الجميع على الاعتراف له بالبروز والتفوق على كافة أفراد الأسرة، والإقرار له بالحكمة والدهاء، رغم ما تميز بيه قلبه من قسوة.[3]

وقد قال عنه لنا الرحالة الاسباني (دومينجو باديي ليبلك[4] doming badiyle belich): سيدي يوسف رجل حسن المظهر يبلغ من العمر حوالي 40 عاماً لا يخلو من ذكاء وحضور البديهة، يتحدث الايطالية بدرجة جيدة، يحب الهمة والفخفخة، ويحتفظ بالوقار والحشمة دون أن يهمل المجاملة والكياسة، ولقد أنقذت عشر سنوات ونصف والشعب راض كل الرضا عنه.[5]

وقدم لنا الرحالة الانجليزي سميث سنة (1816_1817م) قائلاً: إن يوسف باشا يمثل مزيجاً من الفضائل والرذائل، فهو رجل اجتماعي ذكي وأب عطوف وصديق المخلص، يبدوا أن الطبيعة قد أرادته أن يكون أنسانا شريفاً، ولكن التجارب التي صادفته قد ساهمت ـــ ولا بد ـــ في طغيانه الجامح وفكره الخالي من الثقافة.[6]

---

[1]- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 110.

[2]- محمود ناجي، المصدر السابق، ص 164.

[3]- أتوري روسي، المصدر السابق، ص 373.

[4]- دومينجو باديي ليبلك: هو رحالة زار طرابلس في 1805م وضمن رحلته في بعض البلدان الأفريقية والأسيوية، ينظر: خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى العرب والأجانب، دار الكتب الوطنية، ط03، 1997م، ص 148.

[5]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 132.

[6]- محمود ناجي، المصدر السابق، ص 221.

إن يوسف ماهر في دس الدسائس، على استعداد للتخلص من تعهداته عندما كانت مصلحته تتطلب ذلك، وكان قادراً على استخدام جميع الوسائل للحصول على المال، فهو يمثل الطراز الأول للملوك الصغار الذين أنزلوا الرعب مدة طويلة من الزمن بسفن الدول الأوروبية.[1]

فلم يكن ليوسف إلا زوجتين شرعيتين إحداهما ابنة عمه وهي بيضاء، وقد أنجبت منه ثلاث ذكور وابنتان أمّا الأخرى فكانت زنجية وكان له منها ذكر وبنتان، وكانت لديه الكثير من الجواري السوداوات و لم تكن بينهن واحدة بيضاء.[2]

كان يوسف القرامانلي شخصية جذابة طموحة، فهو داهية لا ضمير له ولا وجدان، يجب أن يكون قد صمم منذ نعومة أظافره، بأن يتولى العرش بعد والده والياً شرعياً، وتصفهُ رسائل الآنسة توللي بكل مقدرة كيف أنه عمل على تحقيق ذلك بالدسائس والاغتيال[3] لكن يوسف باشا شخص قاس جداً على رعيته ولاسيما عندما يذنب أحدهم، فالقانون يسمح بقطع الرأس لكل من يقتل إنسانا، وقطع اليد اليسرى والرجل اليمنى للسارق أو قاطع الطريق.[4]

فنجح يوسف باشا بحكم الولاية أكثر من أربعين سنة بمهارة ونشاط وهمة، فكان يتحلى بالكثير من الصفات التي كان يتميز بها حكام العرب في الماضي الطموح المتعجرف، واتخاذه للقرارات السريعة التي لا رحمة فيها ولا هوادة، شخصيته ذات سحر عظيم، ويمتلك قوى الإقناع.[5]

---

[1]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 132.

[2]- المصدر نفسه، ص 134.

[3]- الآنسة توللي، عشرة أعوام في طرابلس الغرب، تر عبد الجليل الطاهر، دار ليبيا، بنغازي، 1667، ص 50.

[4]- يوميات الطبيب جوناثان كودري في قلعة طرابلس الغرب 1803 1805م، تر وتع عبد الكريم أبو شويرب، 1986، ص 21.

[5]- الآنسة توللي، المصدر السابق، ص 50.

فيقول عنه النائب: إن يوسف باشا لما انتقل من طور الشبيبة إلى طور المشيب استهان بأهل الإيالة وحملهم بمقتضى ما كان له من إطلاق التصرف من مصاريف شهواته وألوان لذاته أكثر من طاقتهم حتى آل الأمر إلى فاقته وفاقتهم.[1]

وبرغم هذا فالباشا رجل ودود وعطوف على الأطفال بشكل لا يصدق كما يتصدق ويحسن إلى الفقراء، وهو رجل أبيض يبلغ من العمر الخامسة والثلاثين تقريباً، جذاب الصور أنيق المظهر والهندام.[2]

وفي الحقيقة مهما كانت آراء المعاصرين وحكمهم على أعماله فإن قتله لأخيه وتمرده على أبيه، وطريقة عزله لأخيه أحمد، والحرب التي شنها على القبائل الداخلية، بسبب طموحه الذي لا حد له، وبإرادته القوية الصلبة وعدم تردده، يمكن اعتباره مؤسس الثاني للأسرة القرمانلية.[3]

وقد دفعه حبه لمظاهر العظمة إلى إحاطة نفسه ببلاط يحاكي بلاط الأمراء، كما دلت على ذلك الملابس الفخمة التي كانت ترتاديها نساؤه والخادمات والمفروشات التي كان يملأ بها القصور.[4]

فأراد يوسف باشا أن يرفع مكانته في عيون الناس، ولهذا جمع أبرز وجهاء البلاد وطالبهم بكتابة عريضة يثنون فيها على وصوله إلى السلطة ويطلبون من السلطان تثبيته والياً على إيالة طرابلس الغرب، وأمرهم بأن ترفق الرسالة بكثير من الهدايا النفيسة، وبالإضافة إلى ذلك وجه رسالة شخصية إلى السلطان.[5]

---

[1]- الطّاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص ص 231-232.

[2]- يوميات الطبيب جوناثان كودري في قلعة طرابلس الغرب 1803 1805م، المصدر السابق، ص 21.

[3]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص.132.

[4]- المصدر نفسه، ص.134.

[5]- نيكولاي إليتش بروشين، المرجع السابق، ص 155.

لقي يوسف باشا القرمانلي دعماً عسكرياً قوياً من الدولة العثمانية كي يتمكن من توسيع نفوذ في طرابلس الغرب، والتي توسعت وأصبحت الإيالة في عهده، بعد أن امتد نفوذها المباشرة ليشمل إقليم فزان.[1]

وقد استجاب السلطان لهذا الرجاء، فأصدر في أوساط شعبان سنة 1211ه/ 1795م فرماناً بتوليته والياً على طرابلس الغرب كما أرسل إليه سفينة بثمانية وعشرين مدفعاً وبعض أنواع العتاد الحربي وطلب منه الاهتمام بأحوال السكان وتقوية القلاع، وأن يعمل جهده لإرجاع النظام الذي اختل بين الجنود والضباط.[2]

المبحث الثاني: انجازات يوسف باشا في طرابلس الغرب .

أ.داخلياً:

عندما استولى يوسف باشا على السلطة في 13 يوليو 1795م، لم يكن لديه ما يخشاه من جانب أبيه الذي اعتكف وسكن إلى حياته الخاصة، وتوفي بعد ذلك بقليل في طرابلس الغرب في يوم 23 يوليو 1796م، كما لم يكن يخشى أخاه الذي خلعه، والذي رحل إلى تونس وابتعد عن جميع الدسائس.[3]

فأدخل إيالة طرابلس مرحلة جديدة تعتبر من أهم مراحل تاريخها الحديث، فهي إلى جانب كونها مرحلة تحسين شاملة شهدتها البلاد في جميع المجالات ومرحلة استقرار نسبي للأوضاع الداخلية، فهي مليئة بالأحداث الدولية التي ارتبطت بها إيالة طرابلس الغرب بحكم موقعها الاستراتيجي الهام على شاطئ جنوبي للبحر الأبيض المتوسط.[4]

---

[1]- مجلة تكريت، ص 289.

[2]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 84.

[3]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 135.

[4]- أحمد سعيد الطويل، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرامانلي (1795_1832م)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط01، 2002، ص121.

أما الخطوة المهمة باتجاه تعزيز سلطة يوسف باشا فكانت إقرار السلام والأمن في إيالة طرابلس الغرب، ولهذا أخذ يعمل بكل ما لديه من طاقة وحزم على إقرار النظام في البلاد[1] وصلحت أحوال التجارة والزراعة وازدهرت.[2] وكخطوة أولى رمّم حصون المدينة طرابلس التي هجرت لوقت طويل، ووضع عليها ما يقارب 70 مدفعاً.[3] وأنشأ أبراجاً وحصون جديدة في بعض المواقع من سور طرابلس وفي عدة نقاط خارج البلد وأسند مهمة الإشراف على بناء هذه الأبراج والحصون إلى وزرائه، ففي 1817م كلّف مصطفي قربجي رايس البحرية بأن يبدأ العمل في إقامة برج جديد لسد الثغرة ما بين برج المندريك والميناء،[4] وبني حائط السور الممتد من قرب الحكومة من جهة البحرّ.[5] وهو العمل الذي عكف عليه عدة أعوام تحقيقاً لسياسته الرامية إلى تنظيم القرصنة، وإقامة قاعدة مضمونة يلجأ إلها.[6]

وقضى على السرقة التي انتشرت أثناء الاضطرابات الأخيرة في المدينة وضواحيها، وقرر عقوبة الموت لكل جرائم السرقة أو الاعتداء[7] وانتشرت على نطاق واسع عقوبة الجلد بالعصا أو بالسواط على الظهر أو القدمين وكانت هذه العقوبة بالغة القسوة لأنها كثيراً ما انتهت إلى الموت، والعادة أن يحكم بخمسين جلدة، لكن العدد كان يرتفع في بعض الأحيان إلى 400 _ 500 جلدة، أمّا أقصى العقوبات فكانت قطع الرأس أو الشنق أو الخنق.[8] وأوكل إلى اليهود عملية تنفيذ العقوبات، وشملهم بحمايته التي ساعدهم على توسيع نشاطاهم.[9]

---

[1]- نيكولاي إليتش يروشين، المرجع السابق، ص 156.

[2] - محمود السيد، المرجع السابق، ص 58.

[3]- كولا فولايان، المصدر السابق، ص 44.

[4]- أمحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 189.

[5]- احمد بكّ النائب الأنصاري الطرابلسي، المصدر السابق، ص 58.

[6]- كوستانيويو بونيا، المرجع السابق، ص 243.

[7]- المرجع نفسه، ص 243.

[8]- نيكولاي إليتش بروشين، المرجع السابق، ص 159.

[9]- كوستانيزيو بونيا، المرجع السابق، ص 243.

وحالما اطمأن إلى قوة دفاعات المدينة انصرف إلى بناء أسطول بحري ضخم يستطيع بواسطته مواجهة تحديات الدول الأوروبية.[1] حيث بلغ عدد أسطوله ثلاث عشر (13) سفينة، بالرغم من أن إيالة طرابلس الغرب تفتقر إلى المواد الخام الضرورية لمثل هذه الصناعة كالأخشاب والمعادن اللازمة فإن يوسف باشا قد حرص على الحصول عليها من خلال المعاهدات التي كان يعقدها مع الدول الأوروبية، فهي أفضل ما يقدم إليه كهدايا فكانت كمية من هذه المواد ضمن بنود المعاهدات الطرابلسية الأمريكية [2] المصادق عليها بتاريخ 11 نوفمبر 1796م[3] لأن الأسطول هو العنصر الأساسي للدولة، وقد وأولى قيادتها إلى مراد رايس[4] وأعاد تنظيمها.[5]

كما زاد اهتمام يوسف باشا بصناعة السفن، فعمد إلى إصلاحها وإعادة بناءها، فكانت هذه المراكب نواة الأولى للبحرية الطرابلسية الوليدة في عهدها الجديد التي أخذت في التزايد والنمو السريع بفضل جهود يوسف باشا الذي كان يقدر البحرية حق قدرتها الأكيدة بأن مكانة طرابلس الدولية مرهونة بقوتها البحرية.[6]

فشجع الشبان للعمل في البحرية ومنحهم رواتب عاليا وأعفاهم من الضرائب والخدمة العسكرية، فتدفق الشبان من مختلف مدن الولاية للعمل في البحرية، وخلال زمن قصير تمكن

---

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 224.

[1]- المعاهدة الطرابلسية الأمريكية: جاء فيها تدفع حكومة الولايات المتحدة إلى الباشا المواد التالية: خمسة مدافع 8 بوصات، وثلاث كوابل 10 بوصات، وخمسة وعشرين برميلاً من الطلاء، وخمسمائة من ألواح الخشب الصنوبر، وخمسمائة من ألواح البلوط، وعشر سوار من 200 إلى 300 طن واثنتي عارضة شراع وخمسين لفافة في قماش القنب وعدد أربعة مراسي. ينظر: أمحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 123.

[3]- أمحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 123.

[4]- مراد رايس: هو انجليزي الأصل ولما اعتنق الإسلام سمي باسم (مراد رايس) وكان بحاراً فوق سفينة القنصل الانجليزي، وكان صديقاً حميماً للباشا الذي زوجه من إحدى بناته، ينظر: أتوري روسي، المرجع السابق، ص 374.

[5]- أمحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص 122.

[6]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيله، المرجع السابق، ص 194.

يوسف من بناء قوة بحرية قادرة على مهاجمة الدول الأوروبية التي لا ترتبط معه باتفاق أوْ لا تدفع ما عليها من ضرائب وإتاوات.[1]

وفي عهده نظم شعبات الإدارة واحدث وظائف من أمثال الوزارات ومأمورية خارجية ورئاسة البحر[2] فاستبدل في النظام الإدارة [3] لقب الخزندار (الخازن) بلقب وزير المال، الذي تعهد إليه الأمور المالية التي تشمل دائرة كبيرة من القضايا، وأدخل في جهاز الإدارة منصبين جديدين: كبير الوزراء (على غرار الصدر الأعظم في الإمبراطورية العثمانية) ووزير الشؤون الخارجية.[4] وهاتان الوظيفتان أصبحتا مهمتين ومؤثرتين في حكم الولاية، إذا كانت هذه الخطوات ايجابية، وعليه فان خطوات أخرى كانت فاشلة، فتعيّن يوسف باشا لأولاده وأقاربه كرؤساء للمتصرفات، جلب له المشاكل، وسبب في خفض عوائد الضرائب والدخل السنوي للحكومة.[5]

و لم يحتفظ بالجيوش الثابتة عدا الحراس الخاص، وجماعات القولوغلية الذين كان يستطيع استخدامهم في الخدمة العسكرية عند الضرورة، فكانت القولوغلية تشكلون الركيزة الأساسية للجيش، وعين عدد من الجنود الذي كان على كل رئيس إرسالهم إليه عند طلبه.[6] وكان الجيش ينظم من بين المرتزقة لمدة العمليات الحربية، أما سبب الامتناع عن الجيش النظامي فهو

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 224.

[2]- محمود ناجي ،المصدر السابق، ص 164.

[3]- النظام الإداري: الذي كان سائد في فترة العهد العثماني (1551_1711) استمر نفسه في الفترة القرامنلية بدون تغيرات جذرية، خاصة فيما يتعلق بالديوان والطائفة وقوات الانكشارية. ينظر: علي مسعودي البلوشي، تاريخ المعمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرامنلي 1551_1911م نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية،، ص 46.

[4]- نيكولاي ايليتش بروشين، دار الكتب الوطنية، بنغازي، دط، 2006 ، ص 156.

[5]- علي مسعود البلوشي ،تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرامنلي 1551_1911 نشأة وتطور أنماط المساجد في الليبية ، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2007، ص 46.

[6]- رودفوميكاكي، المصدر السابق، ص 133.

نقص الأموال اللازمة للإنفاق عليه في أوقات السلم.[1] فلم يكن من السهل في تلك الأثناء ملء خزائن الإيالة، وبالرغم من التهديدات التي كانت تُوجهها طرابلس الغرب إلي الدول الأوروبية فان عدد من الدول شمال أوروبا قد تباطأت في الاعتراف بيوسف باشا.[2]

فبعد حصوله علي فرمان توليته من السلطان سليم الثالث[3] اتخذ مسلكاً معادياً نحو الدول الصغرى، التي لم تقبل مطالبة لدفع الجزية والهبات وعلى الأخص ّهولندا والدنمرك والسويد...إلخ.[4]

ب.خارجياً:

إن العناية الحاسمة قد عادت إلى طرابلس مع بداية حكم يوسف باشا القرمانلى حيث استطاع أن يعيد إلى الأذهان المآثر التي قام بها جده الأول مؤسس الأسرة القرمانلية، وربما جاء هذا الحزم لكونه قد واجه هو أيضا نفس التحديات التي واجهها جده الأول.[5]

فلم يكن أمامه إلا إبلاغ الدول الأجنبية ـــ عن طريق ممثليها ـــ بأن تسارع في تسديد ما عليها من إتاوات سابقة للحكومة الليبية، وفي أسرع وقت ممّكن، نظراً لاحتياج البلاد إلى المال[6]وأخذ الأسطول الليبي يقوم بدور حماية السفن التجارية في البحر المتوسط، مقابل مبالغ مالية كبيرة و لم تتمكن الدول الأوروبية التي عارضت دفع إتاوة من حماية سفنها.[7]

---

[1]- نيكولاي إليتش بروشين، المرجع السابق، ص 159.

[2]- المرجع نفسه، ص 159.

[3]- السلطان سليم الثالث: ابن السلطان مصطفى ابن احمد، تولى الحكم سنة 1203ه، وبذل جهوداً عظيمة في سبيل إصلاح الجيش والبحرية العثمانية ومحاولة إيقاف المد الروسي في البحر الأسود ...إلخ. وتنازل عن الحكم مرغماً من قبل الانكشارية سنة 1807م.ينظر:أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 120.

[4]- رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص 375.

[5]- نجم الدين غالب الكيب، مدينة طرابلس عبر التاريخ، دار العربية للكتاب، ليبيا ـــ تونس، ط02، 1978 ، ص 83. 83.

[6]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 194.

[7]- محمود السيد، المرجع السابق، ص 25.

فسارعت هذه الدول بدفع ما عليها من التزامات مالية، بغية الحفاظ على سلامة سفنها وتجارتها في البحر المتوسط وحمايتها من اعتداءات السفن الطرابلسية عليها[1] فمنهم جمهورية طوسكانه في سنة 1820م ومملكة نابولي في 1826م، ممّا يدل على ما كانت عليه طرابلس من قوة.[2]

فأعلن الباشا بأن طرابلس قد أصبحت قوة يحسب لها حساب، وعلى هذا طالب من الدول الأوروبية المختلفة ـــ من خلال قناصلها المقيمين ـــ على إعادة علاقات ملائمة مع طرابلس، عن طريق إرسال (الهدايا القنصلية) التقليدية.[3]

فقد كانت اسبانيا والبندقية أسرع الدول في الاستجابة لهذا النداء، حيث دفعت البندقية مبلغاً قدره ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار بندقي ذهباً في 11 رجب 1210ه[4] كما أرسلت إليه البندقية أسطولا بقيادة (كوندلير Condulmer) الذي حمل إلي الباشا قسطين سنويين من الجزية الخاصة باحتكار ملاحات بوكماش وهدية لتأييد المعاهدة السابقة.[5] كما دفعت اسبانيا للباشا مبلغ 20,000 دولاراً [6] في أواخر عام 1795م ومنحته سفينة بالإضافة إلى ذلك أمدت أحواض بحريته بـــ ثمانية عشر(18) من الحرفيين.

ودفعت البندقية في نفس السنة للباشا مبلغ 000, 4 دولار، وكذلك كإعانة مالية لمدة سنتين متأخرة 2,000دولاراً، ولحقت فرنسا بهدية من الأثاث قدرت قيمته بحوالي 10,000 دولار، وحيث كان الباشا غير راضي.[7]

---

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 194.

[2]- محمد إبراهيم لطفي المصري، تاريخ حرب طرابلس، مؤسسة الأمير فاروق، ط01، 1946، ص 18.

[3]- كولا فولايان،المرجع السابق، ص 47.

[4]- أمحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص 209.

[5]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص

[6]- ظلت الدولارات خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هي مقياس سعر الصرف ليس في طرابلس فقط ولكن ولكن في أجزاء آخري من شمال افريقيا .ينظر: كولا فولايان، المرجع السابق، ص47.

[7]- أمحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص 47.

أما الدول الأوروبية الأخرى مثل السويد والدانمرك وهولندا ونابولي...إلخ. والتي فشلت في تجديد اتفاقية (الصداقة والتجارة) مع طرابلس الغرب على أساس أن طلبات الباشا كانت عالية جدا فإنها وجدت بحريته تقف ضد سفنها في البحر المتوسط.[1]

فان يوسف باشا استلم في مدة تقل عن ثلاث سنوات المبالغ التالية: 5 ألاف قرش من نابولي، 23 ألف قرش من البندقية، 49 ألف قرش من أمريكا، 4 ألاف من راجوس (يوغسلافية)،97 ألف قرش من الدنمرك.[2] أما حمولة العتاد الحربي فهي كالتالي: السويد 11 مركب من مختلف الأنواع، الدنمرك 4 مراكب مختلف الأنواع، البندقية مركبين، نابولي 7 مراكب...إلخ.[3]

فالبحرية كان لها أكبر نصيب في إعادة بناء الإيالة نظراً لمساهمتها الفعالة في اقتصادها عن طريق ما تدفعه الدولة المرتبطة بمعاهدات سلام وصداقة مع طرابلس من أموال مقابل حماية سفنها وتجارتها والتسهيلات التي تحصل عليها في موانئ الإيالة، وعن طريق مأتاتي بيه مراكب الغزو من غنائم والتي تزايدت بشكل واضح بعدما وضع يوسف باشا إيالة طرابلس في مرتبة لا تقل عن تونس والجزائر.[4]

فتتضح الجهود التي بذلها يوسف باشا لتدعيم البحرية بالمراكب الحديثة المصنعة بالخارج، وأنفق عليها المبالغ الطائلة طيلة فترة حكمه وخاصة العقود الأولى منها، حتى أصبح الأسطول الطربلسي من الأساطيل التي تهاب في البحر الأبيض المتوسط.[5]

[1]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص، ص 47 48.

[2]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 376.

[3]- أمحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص 211.

[4]- المرجع نفسه، ص ص 213 - 214.

[5]- أمحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 129.

المبحث الثالث :الحرب الطرابلسية _الامريكية (1801-1805م).

يعتبر دخول الولايات المتحدة الأمريكية في حوض البحر الأبيض المتوسط جاء متأخر، باعتبارها من بين الدول الصغرى، حيث كانت تزاول نشاطها التجاري تحت راية العلم الانجليزي إلى غاية 1776م، فأصبح من المحتم عليها أن تراعي شؤونها بنفسها، وأن تحافظ على سلامة سفنها من اعتداءات أساطيل دول شمالي إفريقيا عليها.

فاتسمت علاقة طرابلس الغرب بأمريكا بالسلام تارةً والحرب تارةً أخرى، فتعددت المسببات الحرب فمن بينها ما يلي:

❖ عدم موافقة يوسف باشا على الإتاوة السنوية التي اتفق عليها مع القنصل الأمريكي، و أخذ يطالبه بمبالغ مالية كبيرة، ويلح على معاملة طرابلس بما تعامل به الجزائر.[1]

❖ اتفاقية 1796م[2] التي كانت تحمل معها بذور الخلاف المستقبلي، وكانت السبب الأساسي للنزاع المسلح لفترة (1801-1805م)، حيث طلب الأمريكيين العودة أو الرجوع في تسوية الخلافات الناتجة، عن تفسير المادة الأولى والثانية عشر من الاتفاقيات إلى الصديق المشترك للجانبين هو داي الجزائر.[3]

---

[1]- عمر على بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 101.

[2]- إتفاقية 1796م: نصت هذه المعاهدة على دفع الحكومة الأمريكية لمبلغ (500 و 642) دولار كفدية للأسرى وهدايا للحكومة الجزائرية ، وعلى الجزية السنوية (600 و 21) دولار تدفع على هيئة تجهيزات بحرية. ينظر: أمحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 226.

[3]- كولا فولايان، المرجع السابق، ص 52.

❖ الاتفاقيات والمعاهدات التي غالبا ما تكون قصير الآجل،[1] واعتماد الساسة الأمريكيين على القوة كخير وسيلة لحماية سفنهم في حوض بحر الأبيض المتوسط.[2]

❖ نقل صورة مأساوية عن الأسرى الأمريكيين في شمال إفريقيا، كتعرضهم للجلد والإعمال الشاقة والاهانات، ما أثار الشعب الأمريكي بما في ذلك أعضاء الكونجرس congrès فقرر المجلس ورئيس واشنطن إنشاء ست بواريخ حربية.[3]

❖ عدم جدية الولايات المتحدة في دفع مخصصات لإيالة طرابلس الغرب والهدايا القنصلية، لا كن نظرا لافتقارهم إلى القوة البحرية الكافية لحماية تجارتهم هو الذي دفع بهم إلى شراء السلام من إيالات المغرب.[4]

❖ موقف يوسف باشا وأعضاء ديوانه من التمثيل القنصلي الأمريكي في شمال أفريقيا في الجزائر، أي أن أمريكا تنظر إلى طرابلس على إنها تابعة للجزائر حيث أكد الباشا استقلاله السياسي ليس عن الجزائر فحسب وإنما عن السلطان العثماني، وجزم بأنه: (... هو أمير مستقل و لا يخوف بالجزائر أو تونس، و لا حتى بالسلطان العثماني، فهو يحكم في مملكته تماما كما يفعل داي الجزائر في بلاده).[5]

❖ ويبدو أن الرواية الأمريكية لمسببات الحرب لقد رجحت السبب الحرب إلى القرصنة[6] التي تمارسها طرابلس والتصميم الأمريكي على وضع حد لها.[7]

---

[1]- أمحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 224.

[3]- أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 228.

[4]- المرجع نفسه، ص 226.

[5]- كولا فولايان، المرجع السابق، ص 52.

[6]- القرصنة: (لصوصية البحر) هو مفهوم غربي يقابله عندنا الجهاد البحري، الذي يستمد أصوله الأولى من الرباط في الإسلام، وقد استمر نشاط القرصنة في حوض البحر المتوسط حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر. ينظر: عمار جحيدر، آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، دط، 1991 ، ص، ص 35 36.

[7]- المرجع نفسه، ص 52.

❖ عدم مبالاة أمريكا بالدول الأقل قوة، مثل: ليبيا وتونس، لأنها رأت أنهما لا يشكلان خطورة بالنسبة لسفنها في البحر المتوسط مثل: الجزائر والمغرب اللتين يشكلان خطورة كبيرة لامتلاكهم قوة بحرية هائلة لها خطورتها في غرب حوض البحر الأبيض المتوسط.

❖ عدم موافقة يوسف باشا على الاتاوة السنوية التي اتفق عليها مع القنصل الأمريكي، و مطالبته بمبالغ كبيرة، وتماطل أمريكا في ردّ على يوسف باشا فأصدر أوامر سراً إلى مغامريه بالاعتداء على السفن الأمريكية.[1]

❖ قام يوسف باشا في14 مايو 1801م، بإنزال العلم الأمريكي المرفق فوق القنصلية بطرابلس ومزقه بصورة علنية ، فأثارت هذه الاهانة الحكومة الأمريكية.

ب.حملات الأمريكية على طرابلس الغرب.

أ.حملة ريتشارد ديلّ (1802_1801م) Richard Deele:

في يوم 1801/07/24م وصل الكمودور ديلّ إلى السواحل الطرابلسية لما كان القنصل الأمريكي كاثكارت[2] قد غادر طرابلس على اثر إعلان يوسف باشا الحرب على بلاده[3] فاستفسر الباشا _عن طريق قنصل الدنمارك المستر المكلف برعاية مصالح أمريكا _ عن وجود تلك السفن هل هي قادمة لأجل الحرب أم السلام معه، فرد عليه قائد الحملة الكوماندورد ديلّ قائلا: أن سبب وجودي أبعد ما يكون عن الحرب، ولكن إعلانك للحرب ضدنا أجبرني على تصيد سفنك وتحطيمها وهذا هو هدفي الرئيسي.[4]

وعندما اتضح لقائد الحملة الأمريكية أنه لا جدوى من المفاوضات مع الباشا _ما دام متمسكاً بقراراته السابقة_ حاصر المدينة بعد أن تحصل على المياه والمؤن الغذائية اللازمة من

---

[1]- عمر علي إسماعيل، المرجع السابق، ص 101.

[2]- جيمس لاندر كاثكارت: من مواليد سنة 1767م، هاجرت أسرته من استلاندا إلى الولايات المتحدة، بدأ حياته كبحار و أسر من طرف الانجليز أولا ثم من الجزائريين سنة1785م، شغل قنصل بالولايات المتحدة كلا من الجزائر وتونس وطرابلس. ينظر: أحمد سعيد الطّويل المرجع السابق، ص 129.

[3]- أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 233.

[4]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 224.

جزيرة مالطا، التي كلف بها الملازم البحري (اندرو استيريت Androw Street)، وأثناء ذهابه إلى مالطا اعترضته السفن الليبية بقيادة الرايس محمد سويس يوم 1801/08/01م،ذات الأربعة عشر مدفعاً وثمانين (80) رجلاً [1] بينما كانت السفينة الأمريكية كانت ذات 24 مدفعاً وعلى ظهرها 200 رجلاً وبعد تكثيف النيران على السفينة الطرابلسية عجزت عن الحركة وبالتالي تم الاستيلاء عليها بعد معركة دامت ثلاثة ساعات[2] كانت خسائر فيها من الجانب الليبي أكثر من الجانب الأمريكي، حيث قتل ثلاثة من رجال البحرية الليبية، وجرح ثلاثة آخرون من بينهم قائد السفينة، ثم عادت السفينة إلى طرابلس[3] واعتبر نصراً عظيماً للأسطول الأمريكي، فقد أثنت الحكومة الأمريكية على استير ورجاله وخصصت لهم المنح والهدايا.[4]

ب.حملة فالنتين ريتشارد موريس: F.R.Mourice

في 1802م أصدرت الولايات المتحدة الأوامر إلى القائد موريس، بمهمة تلقين الباشا أول درس عملي، فتوجه موريس إلى طرابلس[5] وحاول قصف أسطول الولاية وتقديم درس للقرصنة الطرابلسيين، ولكن مدفعية وقلاع طرابلس وحصون[6] اضطرته إلى البقاء بعيداً، وبعد الفشل في في الاقتراب، حاول التفاوض مع محمد الدغيس ولكن دون جدوى، وبعد قطع المفاوضات رحل الأسطول الأمريكي[7] بعد أن خسر سفينة من أسطوله.[8]

---

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 275.

[2]- منشورات تنظيم وإدارة المدينة القديمة إطرابلس، المرجع السابق، ص 21.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 275.

[4]- امحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 233.

[5]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 105.

[6]- كوستانزيو بونيا، المصدر السابق، ص 248.

[7]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 105.

[8]- كوستانزيو بونيا، المصدر السابق، ص 248.

لقد كتب موريس المبررات في الوقت الذي لم يكن بعلم أن قرار إيقافه عن القيادة قد تم يوم 1803/06/21م، وبذلك أقفل ملف هذه الحملة بعد فشل الذريع الذي أدى بقائدها إلى المثول أمام القضاء الأمريكي الذي وأعتبر ريتشارد موريس مقصراً في أداء واجبه أثناء قيادته للأسطول في مياه المتوسط.[1]

ج: حملة ريتشارد ديلّ وأسر فيلادلفيا 1803م.

أعدت حملة بقيادة الكوموندو ريتشارد ديل مكونة من ثلاث سفن، ومركب شراعي ذي صارين، منهما سفينتان مزودتان كل منهما بأربعة وأربعين مدفعاً، الأولى بقيادة الربان جيمس والثانية بقيادة الربان ويليام برينيريبج، واسمها فيلادالفيا.[2]

فاتخذ مالطا مركزا لإدارة عمليات الحربية بدلا من جبل طارق في السابق، وأمر القائد السفينة فيلادلفيا بمحاصرة مدينة طرابلس، وقد استمر هذا الحصار ما يقارب 20 يوماً[3] وهاجمت بعض قواعد المدينة بالمدفعية البحرية دون أن تنجح في تدميرها، فظهر أمامها قارب صغير طرابلسي بقيادة الرايس زريق آغا[4] الذي تظاهر بالانسحاب من أمامها ليعطي للسفينة فيلادلفيا فرصة المطاردة.[5] فاستدرجها إلى الشط الهنشير بزورقه وحيد الشراع، ثم أحاطت بها القوارب المسلحة الأربعة عشر (كما يحيط السوار بالمعصم).[6]

---

[1]- أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 239.

[2]- اتوري روسي، المرجع السابق، ص 378.

[3]- كوستانيويو بونيا، المصدر السابق، ص 284.

[4]- الرايس محمد زريق: تميز بنشاطه البحري الدؤوب منذ بداية القرن التاسع عشر ميلادي، وخاصة أثناء فترة الصراع الطرابلسي الأمريكي (1801 1805م) وكان نشاطه متزايداً في عمليات الغزو ضد كل من نابولي والحكومة البابوية، ويبدو أنه من الذين قدر لهم أن يروا نهاية البحرية الطرابلسية. ينظر: أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 170.

[5]- أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 233.

[6]- رضوان أبو شويشة، المرجع السابق، ص 18.

فقد غاصت فيلادلفيا ما بين 18,5 إلى 20 قدم، وعمق الماء لا يتجاوز 7 قامات إلى 20 قامة، إذا فليسّ في هذا العمق محفوظ بالخطر بالنسبة لفيلادلفيا، أما للقارب فأمر سهل جداً والفرصة مواتية لأن يبتعد عن مدفعية فيلادلفيا.[1]

فبدأ بحارة فيلادلفيا[2] في التخفيف من حمولتها وقذفوا في البحر كلّ ما لم يكن ضروري، و لم يجد قائد السفينة من منفذ سوى النجاة بحياة البحارة، وفي النهاية الأمر وقعت السفينة وطاقمها المكون من 307 رجلا[3] منهم 29 ضابطً[4] وتم نقل البحارة بواسطة القوارب إلى المدينة، واعتبروا أسرى الحرب، حيث تم سجنهم في الحمامات[5] الأسرى ثم إلى مبنى القنصلية الأمريكية.[6]

لكن القبطان ستيفن ديكاتور بعد أربعة أشهر من أسرها استطاع في ليلة 18 فبراير 1803م أن يفجرها واستعمل في هذه العملية قارب ذا قلاعين وثلاثة قوارب أخرى صغيرة وكلها جزء من أسطولنا في البحر المتوسط. ولكن فقدان السفينة فيلادلفيا كان ضربة قاسية في الوقت كنا نحتاج فيه إلى مصادر ثورتنا البحرية.[7] لكن القبطان ستيفن ديكاتور بعد أربعة أشهر من أسرها أسرها استطاع في ليلة 18 فبراير 1803م أن يفجرها واستعمل في هذه العملية قارب ذا قلاعين وثلاثة قوارب أخرى صغيرة وكلها جزء من أسطولنا في البحر المتوسط[8] وأصبحت

[1]- مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة طرابلس، المرجع السابق، ص 26.

[2] - ينظر الملحق رقم 02.

[3]- مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة طرابلس، المرجع السابق ، ص27.

[4]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 380.

[5]- حمامات الأسرى: هي أنماط من السجون تم نقاها إلى مدينة طرابلس من مدن أوروبا، وقد كان لوجود الأسرى الأثر الكبير في قيام منشآت لإيوائهم كانت تعرف بالحمامات. ينظر:مشروع وتنظيم إدارة المدينة القديمة إطرابلس، المرجع السابق، ص 27.

[6]- منشورات تنظيم وإدارة المدينة القديمة طرابلس، المرجع السابق، ص 27.

[7]- يوميات الطبيب جوناثان كودري في قلعة طرابلس الغرب 1803_1805م، المصدر السابق، ص17.

[8]- المصدر نفسه، ص17.

فيلادلفيا كتلة عائمة من النار وعندما وصلت النار مدافعها انطلقت قذائفها لتهبط في المياه الضحلة قرب الشاطئ محطماً نهائياً.[1]

المبحث الرابع: علاقات يوسف باشا بالدول الأوروبية.

أولا: فرنسا.

أن سياسة يوسف باشا الخارجية التي تبعها تجاه الدول الأوروبية الكبرى على الرغم ممّا فيها من مساوئ كانت في الواقع ناتج عن خوفه من قوتها البحرية وعدم استطاعته الوقوف أمامها الأمر الذي جعله يحاول استقطابها أو على الأقل تحييدها من صراعه مع بقية الدول الأقل شأناً في المجال البحري،[2] فالتقارب الذي حدث بين يوسف باشا والحكومة الفرنسية، كان خشيته من أن الانتصارات التي أحرزها نابليون بونابرت ستدفعه إلى التفكير في احتلال طرابلس لتكون قاعدة لانطلاقاته التوسعية.[3]

وعليه رأى نابليون[4] قائد الحملة الفرنسية على مصر ضرورة المحافظة على العلاقات الطيبة، الطيبة، ليس فقط مع الجزائر وتونس وإنما أيضا مع طرابلس التي تعتبر أهم تلك الإيالات نظراً

[1]- مابل لومس تود، أسرار طرابلس، الناشرون دارف المحدودة، لندن، ط02، 1975، ص 59.

[2]- أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 206.

[3]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص.88.

[4]- نابليون بونابارت: ولد في مدينة أجاكوسيو بجزيرة كورسيكا 1769م، وتولي قيلدة الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، وبعد رجوعه منها أقام حكومة القنصلية وأصبح سيد فرنسا الأول. ينظر: أحمد سعيد الطّويل المرجع السابق، ص 199.

لقربها من مالطا ومصر وفي نفس الوقت تكون قاعدة بحرية في البحر الأبيض المتوسط لمواجهة انجلترا.[1]

ولا شك أنا يوسف باشا لم يكن في حاجة إلى معاداة فرنسا التي حرص أسلافه على تحسين علاقتهم معها وهم مكرهين نظراً لقوتها البحرية، وسياسة بونابرت الإحتلالية التي كانت تثير في يوسف باشا الخشية من أن تتعرض طرابلس للاحتلال الفرنسي وتتحول إلى قاعدة لمواصلة احتلال الأراضي العثمانية، بالإضافة إلى ذلك لم يكن في حاجة إلى زيادة مشاكله الخارجية فشبح الحرب مع السويد والولايات المتحدة الأمريكية كان يتهدده، فأسهمت هذه العوامل في زيادة التقارب بينه وبين فرنسا.[2] وزاد ارتياح يوسف باشا[3] لفرنسا خاصة بعد تحرير الطرابلسيين الذين كانوا يكابدون آلام الأسر مالطا، و لذا فقد اغتبط الأهالي بلفتت بونابرت الكريمة.[4]

ومن جهة أخرى سرعان ما أدرك يوسف باشا الفوائد التي يستطيع الحصول عليها من هذا الموقف[5] فأبدى يوسف باشا استعداداً لإرسال المؤن والعتاد إلى الجنرال فوبوا الذي كان يضيق الحصار على مالطا، وكان هذا الجنرال قد أرسل إلى طرابلس مندوباً نشطاً، استطاع أن يعود إلى الجنود الفرنسيين بسفن عديدة، تحمل أبقاراً جمعت من السواحل الليبية بالتعاون مع يوسف باشا، ولقد وصل أول طرد، عن طريق البر، بواسطة قافلة الحجاج العائدين من مكة الذين كانوا يشيدون بالمعاملة الكريمة التي عاملهم الفرنسيون بها أثناء مرورهم بمصر.[6]

---

[1]- أمحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص.199.

[2]- أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص ص 199-200.

[3]- وقد عبر عن ذلك الارتياح في خطاب الذي أرسله إلى حاكم الجزيرة الفرنسي فوبوا بتاريخ يوليه 1798م قائلاً: وحرصاً منا على راحتكم، فإننا على استعداد كامل لتلبية ما تطلبونه منا، لأنني صديقكم في السراء والضراء، وإنني لعلى أتم الاستعداد، مثلكم، للعمل على تحقيق كامل التفاهم بين بلدينا.ينظر: شارل فيرو، المصدر السابق، ص 376.

[4]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 377.

[5]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 145.

[6]- كوستانزيو بوبيا، المصدر السابق، ص 244.

ولقد ظل يوسف باشا في البداية _بقدر استطاعته_ يحافظ على المصالح الفرنسية، ويعمل بكل ما في وسعه على تسهيل تموين مالطة وتأمين وصول المراسلات التي قامت بين نابليون والقنصل بوسييه.[1]

ويبدو من هذا أن يوسف باشا يهدف من وراء ذلك إلى سياسة تبادل المصالح خاصة بعد عودة نابليون بونابرت إلى فرنسا وتوليه منصب رئيس الدولة الفرنسية فانه أخذ يتفاداه وذلك للمكانة التي كان يشتهر بها في مصر بصفة خاصة، وفي أفريقيا بوجه عام، وكان يأمل في الحصول على فوائد من وراء مساعدته.

في حين نرى موقف الشعب الليبي ينافي موقف الباشا، حيث أنهم تصدوا للأسطول الفرنسي، ومنعوه من الرسوا أمام ميناء درنة، عندما فشل جانتوم في إنزال جنوده بالقرب من الإسكندرية، لتصدي الأسطول الانجليزي له، على الرغم من أن هناك معاهدة صداقة موقعة بين الباشا وفرنسا.[2]

وقد اهتم نابليون كثيراً بضمان الاتصالات مع فرنسا عن طريق طرابلس[3] وقد تلقى القنصل بوسيير الأمر بإقامة علاقات وطيدة مع طرابلس، وقد قام القنصل في مطلع 1801م باصطدام تعليماته إلى المغامر السمسار سافيريو ناودي لإجراء مفاوضات مع يوسف باشا، ويبدو من هذه التعليمات أن الغرض الأساسي للبعثة هو إبرام اتفاقيات لتسهيل الاتصال بمصر، وقد توسط في الأمر، لدى يوسف باشا، محمد الدغيس أحد الطرابلسيين المتنفذين، وهو صديق حميم لفرنسا .[4]

---

[1]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 379.

[2]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 212.

[3]- كان لفرنسا على الدوام قناصل أقوياء أذكياء، ففي يولي 1796م وقع حادث خطير بين الباشا والقنصل الفرنسي، فقد لاحق أحد الأتراك شخصاً يهودياً وضربه داخل القنصلية الفرنسية التي استجار بها اليهودي، وقد قام القنصل الفرنسي بالقبض عليه و لم يطلق صراحه رغم محاصرة ثلاثمائة جندي للقنصلية، بل تمكن من الحصول على اعتذار وتسوية الأمر. ينظر: شارل فيرو، المصدر السابق، ص 376.

[4]- أتوري روسي، المرجع السابق، ص، ص 377 378.

و لم يطق الانجليز، هذا الميل الذي يبديه يوسف باشا نحو فرنسا عدوهم، وأشعروه بعدم الرضا عن موقفه عن طريق القسطنطينية، وطلبوا منه مباشرة قطع علاقاته مع فرنسا، و طرد الرعايا الفرنسيين من الولاية[1] فوصل أمر سلطاني (فرمان) بإعلان الحرب بين الباب العالي وفرنسا، وأوامر بحجز الفرنسيين المقيمين في طرابلس بصفة رهائن وإرسال قوات بحرية لمعاونة قبو دان باشا، لكن يوسف باشا استجاب لرغبة القنصل بوسيه وأرسل إلى مالطا شحنة أخرى من العجول على ظهر سفينة فرنسية صغيرة وإذا كانت الظروف قد جعلت من الصعب تموين مالطة بالرغم من رغبة الباشا في الربح.[2]

فكان تعاون يوسف باشا من أهم الوسائل التي اعتمد عليها نابليون في خطته لإرجاع الجيش الذي تركه في مصر، وقد دخل القنصل الفرنسي في مفاوضات مع يوسف باشا سنة 1801م. و لم يرغب في إسناد هذه المهمة إلى موظف رسمي، من شأنه أن يثير شكوك الانجليز.[3]

ولما رأى السلطان العثماني أن فرمان الأول لم يعمل بيه اضطر إلى إرسال فرمان ثاني وجعله على شكل تنبيه أو إنذار وذلك سنة 1213ه الموافق لسنة 1798م، عبر فيه عن أسفه لعدم امتثال داي الجزائر ويوسف باشا لأوامره السابقة حيث أن الجزائر لم تقطع علاقتها مع فرنسا وأن القنصل الفرنسي لا يزال يقيم في طرابلس معززاً مكرماً. ثم طلب منها قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع فرنسا وسجن القنصل الفرنسي، ووضع التجار الفرنسيين تحت الحراسة، ومنع تزويد السفن الفرنسية بالمواد الغذائية، وأباح لهم مصادرة أية سفينة فرنسية يجدونها في البحر المتوسط والاستيلاء على ما فيها من أموال واسترقاق بحارتها.[4]

[1]- كوستانزيو بونيا، المصدر السابق،ص 145.

[2]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 142.

[3]- كوستانزيو بونيا، المصدر السابق، ص 246.

[4]- عمر على بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 98.

وفي أكتوبر 1799م وصلت إلى طرابلس سفينة عثمانية محملة بالذخائر الحربية والأسلحة وعلى ظهرها (الكابيجي ــ باشي[1]) ومعه فرمان يأمر يوسف باشا بالتوجه بجيشه إلى القاهرة ويدعوه أن يقود الجيش بنفسه لمهاجمة نابليون في مصر، وبالرغم من تلك التعليمات الملحّة، فأن يوسف باشا القرمانلي قد أكد للقنصل الفرنسي من جديد عن حسن نواياه تجاه بلاده وطمأنه بأنه لن تلحق رعاياه في طرابلس أي إهانات، وبأنه ــ وهو يرد على الباب العالي بقبوله لأوامره والتزامه بتنفيذها ــ فإنه في الحقيقة لا ينوي الإسهام جدياً في خططه تجاه فرنسا، فاكتفى يوسف أثناء إقامة (الكابيجي ــ باشي) في طرابلس بمطالبة الرعايا الفرنسيين بالتزام مساكنهم، إما تفادياً للإهانات، وإما للبرهنة للمندوب السلطاني بأن أوامر سيده قد نُفّذت حرفياً.[2]

ففي أغسطس 1798م حيث وصل مندوب السلطان العثماني وللمرة الرابعة طالباً تحويل جميع الفرنسيين الموجدين في طرابلس إلى الإستانة، وكان هذه المرة وصوله متزامناً مع وصول السفينة البرتغالية (الفونسو alfhonse) ذات الأربعة والسبعين مدافعاً التي كان على ظهرها العميد البحري (كامبل campbell) والقنصل الإنجليزي (لوكاس lucas) في 13 مايو 1799م وقد توجه القنصل الإنجليزي فور نزوله للبرّ مباشرة إلى الباشا حاملاً له رسالة من (نلسون nelson) قائد الأسطول الإنجليزي في البحر المتوسط وبطل معركة أبي قيرة البحرية، يتهدد فيها بمعاقبته إذا لم يستجب إلى مطالبه خلال ساعتين من العلم.[3]

وأمام هذا الإصرار لم يجد يوسف باشا بداً من الرضوخ لهذه المطالب حيث أرسل القنصل بوسييه والفرنسيين على متن ألفونسو إلا أنه فعل ذلك مكرهاً، بدليل أنه لم يستجيب لكل

[1]- الكابيجي ــ باشي: هي رتبة عسكرية تركية معناها قائد الأسطول العثماني، ينظر: شارل فيرو، المصدر السابق، ص 378.

[2]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 378.

[3]- أمحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 201.

النداءات السابقة التي أصدرها السلطان العثماني بضرورة تسليم الرعايا الفرنسيين وإعلان الحرب على فرنسا.[1]

ثانياً: الدنمارك.

لما تولى يوسف باشا مقاليد الأمور في البلاد رسم سياسة لحكمه مغايرة لسياسة من سبقه في الحكم، ففرض شروطه على الدول الأوروبية الأقل شأناً كما هو الحال مع الدنمارك والسويد وهولندا ... إلخ. وخاصة العقد الأول من حكمه الذي أراد فيه إثبات استقلالية إيالة طرابلس الغرب وتأكيد سيادتها بين جميع الدول وبذلك استفاد يوسف باشا من كل الإمكانات، واستغل الظروف التي يمكن أن تساهم إيجابياً في بلوغ أهدافه.[2]

كانت الدنمارك كغيرها من الدول الأجنبية تقوم بدفع ما عليها من جزية للحكومة الطرابلسية نظيراً لسلامة سفنها لهذا فإن السلام بين البلدين لم يسده التوتر إلا في قليل، ولكن بمجرد أن تولى مقاليد الأمور في البلاد يوسف باشا الذي رسم سياسة لحكمه مغايرة لسياسة من سبقه في الحكم.[3]

دخلت البحرية الطرابلسية في صراع مع الدنمارك منذ سنة 1797م بعد إستلاءها على عدة مراكب تابعة لهذه الدولة فعزز يوسف الباشا مطالبه و لم يطالب بالأموال المقررة فحسب بل بتقديم هدايا أيضاً، ولما كانت هذه المطالب وحتى في صفتها الأولى لا تروق للحكومة الدنماركية.[4]

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 202.

[2]- نفسه، ص ص 206- 207.

[3]- محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 388.

[4]- أمحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص 217.

فوصلت فرقاطة[1] دنماركية بقيادة القبطان (فيشر fisher) الذي كان مكلفاً من حكومته بإبرام الصلح، ولكن مطالب الباشا الباهظة أدت إلى الفشل المفاوضات فأمر القنصل الدنماركي بإنزال العلم، ولم يستطع منع أحد المغامرين الطرابلسيين من سحب سفينتين دانمركيتين وأسرهما ثم أخذ القنصل معه ورحل.[2]

ونظراً لمطالب الباشا الباهظة التي طالب بها[3] فرأت الدنمارك ضرورة وضع حدّ لتلك الشروط المجحفة في حقها، أوْ على الأقل التخفيف منها فأصدرت تعليمات إلى قائد أسطولها في البحر المتوسط (بيل Bill) بتحرك نحو ميناء طرابلس ومحاصرته، وبالفعل ظهر هذا الأسطول المكون من ثلاث سفن بحرية هي: فرقاطة وأبريك وشباك، أمام سواحل مدينة طرابلس خلال النصف الأول من شهر مايو.[4]

وقد أوضح نائب قنصل البندقية في رسالة إلى حكومته نتائج هذه المعركة قائلاً: لقد كانت هذه المعركة قاضية لو لم يمزقها ظلام الليل، وكانت الخسائر من الجانب الطربلسي الكثير من الموتى وبعض الجرحى وخسائر في السفن، وممّا قلل من خسائر الفرقة الدنماركية صغر حجم سفنها ممّا ساعدها على الفرار[5] ممّا اضطر الباشا إلى إصدار تعليمات مشددّة إلى بحارته امتزج فيها اللوم الشديّد بالوعود المغرية في حالة تحقيق نصر[6] وأقسم مهما كلفته الظروف سوف يفتك بهم، ووجه إنذاراً شديداً إلى رؤساء سفنه بأنه لن يرحمهم إذا خسروا

---

[1]- فرقاطة: و الجمع فراقط و فراقيط و فرقاطات، أي بارجة حربية سريعة كانت تستخدم في الفترة الواقعة ما بين (1650 ــ 1840م) وهي من المراكب الحربية الخفيفة المستخدمة في البحر المتوسط و كانت تسير بشراع ثم تطورت و أصبحت تسير بالبخار في أواخر القرن التاسع عشر. ينظر: أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 133.

[2]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 136.

[3]- أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 389.

[4]- المرجع نفسه، ص ص 217-218.

[5]- أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق ، ص 390.

[6]- المرجع نفسه، ص 218.

المعركة، وبالإنعام عليهم بأفخر المكافآت في حالة الفوز.[1] أما الدنمارك فكانت نتيجة المعركة مشجعة للدنماركيين على معاودة هجومهم في اليوم الثاني.[2]

فخرج أسطول الباشا لتنفيذ أوامره، غير أن المعركة لم تستمر حيث استطاع قائد إحدى السفن الفرنسية أن يتوسط في عقد الصلح ونظراً لمكانة فرنسا لدى الباشا ولخوفه من أن تنحاز هذه السفينة إلى جانب الدنمارك فقد وافق على عقد الصلح وتم الاتفاق بين الحكومة الدنماركية والباشا وقد تضمنت الاتفاقية عدة أمور أهمها[3]:

أولا: أن تدفع الدنمارك 70 ألف قرشاً في الحال، حتى يتم التصديق على الصلح بالإضافة إلى 3 آلاف قرش تدفع أخرى تدفع كهدية للوزراء[4] وموظفي الباشا.[5]

ثانياً: ترسل ولاية طرابلس وفداً كل أربع سنوات إلى الدنمارك لاستلام هدية قيّمة للباشا، وتحرير الرئيسيين موجودين في مالطا، هذا بالإضافة إلى هدية القنصلية لتوزع من طرف القنصل الجديد كما كان يستعمل عادة.[6]

ثالثاً: وبموجب ما سبق، يتمتع رعايا الدنمارك بالمميزات التي كان يتمتع بها رعايا الدول الصديقة الأخرى.[7]

وبذلك رفع العلم الدنماركي من جديد ورجعت العلاقة بين البلدين على نحو ما كانت عليه في أول الأمر، ولكن حينما شعر الباشا بميل الدنمارك إلى المماطلة في تنفيذ هذا الاتفاق، أصدر أوامر إلى أسطوله بالاعتداء على السفن الدنماركية، وقد استطاع هذا الأسطول في سنة

---

[1]- محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص، ص 390 391.

[2]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 118.

[3]- المرجع نفسه،ص، ص 118 119.

[4]- محمد عبد الله الهادي أبوعجيلة، المرجع السابق، ص 391.

[5]- نيكولاي إليتش بروشين، المرجع السابق، ص 211.

[6]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 119.

[7]- محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 391.

1899م أسر ثلاث سفن دانماركية.[1] ممّا دفع القنصل الدنماركي إلى مطالبة الباشا بالتمسك بالمعاهدات والاتفاقيات السابقة، وإطلاق صراح هذه السفن إلا أن كل المحاولات باءت بالفشل، ممّا جعل القنصل الدنماركي يطلب من محمد الدغيسّ وزير خارجية الباشا في هذا الموضوع إلا أن هذه المحاولة أيضاً لم تثمر عن حلّ إيجابي[2] فالتجأت الدنمارك إلى السلطان مرة أخرى طالبة منه التدخل لإطلاق سراح هذه السفن،لكن حينما قدم القنصل الدنماركي أمر السلطان إلى الباشا بإطلاق صراح هذه السفن خاطبه قائلاً: (إنكم تعتقدون الفرمان شيء كبير، ولكن يجب أن تعرفوا أنه من الممكن الحصول على الفرمانات مقابل أربعين قرشاً شرقياتاً، وأن هذه الفرمانات ليست هنا سوى قصاصات من ورق).[3]

وهكذا وصلت محاولات الدنمارك إلى طريق مسدود، ممّا جعل الدنمارك تلجأ مرة ثانية إلى وساطة فرنسا التي استطاع قنصلها أن ينهي الخلاف بين البلدين، وتعهدت الدنمارك بالوفاء بالالتزامات الأولى، وبذلك عاد السلام بين البلديين، إلا أن هذا السلام قد اتسم بعدم الاستقرار رغم كل الجهود الدبلوماسية المبذولة.[4]

ثالثاً: السويد.

شهدت سنة 1720م نهاية مجد البحرية السويدية، التي أدت بدورها إلى انتهاء سياسة السويد كقوة كبرى، ولم يعد أما السويد إلا البحث عن السلام مع هؤلاء المغاربة الذين يمارسون سياسة القوى الكبرى[5] فلم تتعرض لأي اعتداء من جانب السفن الليبية حتى سنة 1796م.[6]

---

[1]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 119.

[2]- محمد عبد الله الهادي أبوعجيلة، المرجع السابق، ص 392.

[3]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص ص 119-120.

[4]- محمد عبد الله الهادي أبوعجيلة، المرجع السابق، ص 393.

[5]- أمحمد سعيد الطّويل، المرجع، السابق، ص 219.

[6]- محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 381.

ولاشك أن السويد وكغيرها من الدول الأوروبية الأخرى وأمريكا قد وضعت معادلة بين العوائد تجارتها وهذه المبالغ التي تقدمها إلى ايالات المغرب ويظهر أن الأرباح الناتجة كانت تفوق بكثير المبالغ المدفوعة جزية وهدايا، وحتى خسائر المراكب وحمولتها، الأمر الذي جعلها تستمر في الوقت نفسه تلجأ، مثل باقي الدول إلى سياسة التهديد والوعود ومحاصرة موانئ هذه الايالات، وضربها بالمدافع في بعض الأحيان، وعلى هذا الأساس أصبح شراء السلام أفضل من المصروفات غير الاقتصادية.[1]

وفي نصف الأول من القرن الثامن عشر نجحت حكومة السويدية في فتح قنصليات لها بالمغرب: الجزائر 1729م، تونس 1736م، طرابلس1741م، منذ ذلك الوقت حاولت ايالة طرابلس الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع السويد حتى تولي يوسف باشا الحكم الذي لم تعد المبالغ التي تدفعها هذه الدول ترضيه فطلب دفع جزية سنوية.[2]

وطلبت السويد في 1796م من يوسف باشا السماح لسفنها التجارية بحرية الملاحة في دائرة نشاط القرصنة الطرابلسية، وطلب الباشا مقابل ذلك ضريبة سنوية قدرها ثمانية آلاف ليرة [(3)] وعندما رفضت السويد، أصدر أوامر إلى أسطول بالاستيلاء على المراكب التجارية السويدية فارتفع عدد المراكب المأسورة فقد بلغ خلال فترة 1795_1798م أحد عشر مركباً وقيمة حمولتها 375,000 فرنك.[4] فتوسط لها الإمبراطور نابليون لتخفيف تلك الاتاوة[5] وعلى الفور أرسل مندوباً عنه هو (سبساستياني) إلى طرابلس في 30 سبتمبر 1802م ودخل سباستياني في المفاوضات مع الباشا طبقاً للتعليمات التي تلقها لوضح حدّ للنزاع القائم بين طرابلس والسويد[6] وقد تم الصلح على أساس اتفاقية سابقة عقدت في 15 أبريل 1754م

[1]- أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص ص 219- 220.

[2]- المرجع نفسه، ص 220.

[3]- كوستانيويو بونيا، المصدر السابق، ص 247.

[4]- أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 220.

[5]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 384.

[6]- المرجع نفسه، ص 284.

وفقاً لشروط التالية[1]: على أن تدفع السويد ثمانين ألف فرنك غرامة وثمانية آلف فرنك سنوية وترك السفن إلى الحكومة المحلية، وتعاد أساري السويد.[2]

[1]- أتوري روسي، المصدر السابق، ص 379.

[2]- أحمد بك النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 313.

الفصل الثاني

الوفاق الأوروبي و بداية زوال الأسرة القرمانلية

المبحث الأول: مؤتمر فيينا1815.

المبحث الثاني: مؤتمر إكس لاشابيل1818.

المبحث الثالث: الحملة السردينية والبابوية على طرابلس الغرب.

المبحث الرابع: الحملة النابوليتانية على طرابلس عام 1828م.

المبحث الأول: مؤتمر فيينا1815.

حينما شاء القدر بسقوط نابليون بونابرت، رأت الدول الكبرى صاحبة الانتصار وهي انجلترا وروسيا والنمسا، الاجتماع في مؤتمر حدد مكانه بمدينة فيينا لمعالجة المشكلات التي ترتبت على قيام الثورة الفرنسية وحروب نابليون. كما سمح لفرنسا بحضور هذا المؤتمر، واستطاعت بفضل مهارة مندوبيها "تاليران" ان تشارك في مناقشته.

وكان جدول أعمال هذا المؤتمر يشمل العديد من المسائل الهامة ،كان من بينها مسالة امن البحر المتوسط ،الذي استطاع وزير خارجية سردينيا البارون فاليزا "valleza" عرضها على هذا المؤتمر، بعد أن أثارت انجلترا مسألة إلغاء الرق.[1]

يبدو من ذلك ان الدول الأوروبية قد عانت الكثير من أضرار السفن الليبية في البحر المتوسط، خاصة في عهد يوسف باشا القرمانلي،[2] مما جعلها دائما تلبي طلباته لدفع الإتاوات والهدايا السنوية مقابل سلامة سفنها في البحر المتوسط.[3]

ولكن الوضع لم يلبث أن تحول هذا الوضع لغير مصلحة الباشا،[4] وذلك بإلزام حكام طرابلس بقبول قرارات مؤتمر فيينا 1814م،[5] بوضع حد لأعمال القرصنة البحرية وإلغاء الرق، وقد أخذت مدينة طرابلس تتحول في هذه الفترة من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع.[6]

و كان من المتحمسين لهذه المسائل الأميرال سيدني سميث "sidney" حيث أنه كان يطالب باتخاذ إجراءات لوضع حد لهذه الأمور التي كانت تجعل أوروبا موضوع السخرية،[7]

---

[1]- عمر علي بن اسماعيل ، المرجع السابق، ص 143

[2] -ينظر الملحق رقم 03، ص104.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 240.

[4]- خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص 146.

[5]- إنعام محمد شرف الدين، مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي، دراسة في مؤسسات المدينة التجارية (1711-1835م)، دط، طرابلس، الجماهرية العظمى 1998، ص 338.

[6]- خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص 146.

[7]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 240.

حيث أرسل في أغسطس سنة 1814م مذكرة إلى الدول صاحبة الشأن يذكر فيها أنه ليس من المعقول في الوقت الذي تبحث فيه مسألة تحريم تجارة الرقيق على سواحل إفريقيا الغربية، ولا يهتم العالم بأعمال السطو التي يقوم بها المغامرون في موانئ إفريقيا الشمالية و طالب بتأليف أسطول دولي تقتصر أعماله على وضع حد للغزو في البحر الأبيض المتوسط.[1]

وقد استجاب المؤتمر لهذا الطلب و أدمجه في جدول أعماله، وأصدر قرار بشأن ذلك في ديسمبر 1814م غير محددة المدة،[2] و بعد حرب المائة يوم أصدر قرارا حازما و لكن لم يكن له أثر، إذ أنه لم تكن هناك دولة من الدول الكبرى تريد تنفيذه عدا فرنسا بسبب مركزها السياسي الخاص.[3]

أما بريطانيا فإنها رأت أنه لم يكن في مصلحتها تنفيذ هذا القرار، لأنها لو تمسكت به يعني هذا القضاء على دول شمال إفريقيا، وبالتالي تحل فرنسا محلها، ويؤدي هذا إلى إضعاف نفوذها في البحر المتوسط،[4] وخاصة وأن علاقاتها مع يوسف باشا حسنة للغاية منذ أن احتلت جزيرة مالطا وعرضت على يوسف الاستمرار في مشروعه الأول ألا وهو تزويد هذه الجزيرة بما تحتاج إليه من المواد الغذائية، مما جعل لقنصلها المكانة الأولى لدى الباشا، حتى أنه كما رأينا كان يصدر أمره إلى بحريته بمزاولة نشاطها البحري بدون الاهتمام بهذا المؤتمر بل وكأنه لا وجود له على الإطلاق،[5] خاصة النمسا التي كان يطالبها بدفع أقساط الجزية المتأخرة، والبندقية وهولندا والدنمارك وكذلك الدول الإيطالية، وقد اشتد نشاط السفن الليبية بصفة خاصة ضد سفن هذه الدول، وسفن الدنمارك حتى أنه بلغ عدد السفن التي استولى عليها البحارة الليبيون

[1]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 143.

[2]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 242.

[3]- رود لفوميكاكي مرجع السابق، ص 271-272.

[4]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 242.

[5]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 144.

في منتصف سنة 1815م، ست سفن دنماركية، تقدر حمولتها بما يساوي (2000) فرنك، كما أسر ما لا يقل عن ألف وخمسمائة إيطالي، سجنوا داخل حمامات طرابلس.[1]

غير أنه بعد عودة أسرة البوربون إلى عرش فرنسا ووصول قنصلها "مير" إلى طرابلس سنة 1815م أخذت العلاقات السياسية بين يوسف باشا والحكومة الإنجليزية تزداد سوءا يوما بعد يوم،[2] حتى أن قنصلها وارنجتون لم تعد له المكانة الأولى التي كان يحظى بها عند يوسف باشا.[3]

وأدى ذلك إلى تحسين العلاقات الفرنسية الطرابلسية، وظهر الدليل على ذلك في الحال في ذلك الاستقبال الحافل الذي استقبل به يوسف القنصل "مير" وفي إعادة السفينة الفرنسية المستولى عليها بمجرد أن طلب القنصل "مير" ذلك.[4]

وحين أعلمت الحكومة الإنجليزية بهذا عن طريق قنصلها بطرابلس السيد وارنجبون قررت ضرورة تطبيق قرارات مؤتمر فيينا فيما يتعلق بأعمال الغزو البحري واسترقاق المسيحيين وكونت أسطولا قويا لتحقيق ذلك،[5]وقد أعطى الأمر بالعمل لقائد الأسطول الإنجليزي اللورد إكسماوث[6] وأمرته بالإبحار إلى كل من الجزائر وتونس وطرابلس وكلفته في نفس الوقت بإجبار يوسف باشا على عقد الصلح مع كل من دولة سردينيا ومملكة صقلية، وقد وصل

---

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 242.

[2]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 144.

[3]- عبد الله خليفة الخباط، العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وإنجلترا 1795-1832م، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، دط ، 1985م، ص 114.

[4]- رود لفوميكاكي، المرجع السابق، ص 174.

[5]- عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص 114.

[6]- كامللو متفوري، إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، تر عمر محمد الباروني، مر صلاح الدين السوري،منشورات مركز دراسة الجهاد الليبين ضد الغزو الايطالي،دط،1988، ص 83.

اللورد إكسماوث أمام الشواطئ الطرابلسية يوم 27 من أبريل سنة 1816م، وفي اليوم التالي تمكن من مقابلة يوسف باشا وبصحبته وارتجون.[1]

ومما هو جدير بالذكر أنه في الوقت الذي كان فيه إكسماوث يقوم بتحقيق هذه الأغراض، كان هناك مؤتمر منعقد في لندن،[2] بعد الاقتراح الذي تقدم به اللورد "كاسلريه" الذي اعتنق فكرة "سدني سميث" لعقد هذا المؤتمر، وتحضره الدول الكبرى لبحث هذه المسألة.[3]

ولم يؤد هذا المؤتمر إلى أي نتيجة، بسبب موقف فرنسا التي كانت ترى في مشروع "كاسلريه"، آراء إنسانية تحبذها الحكومة الإنجليزية عندما تحترم هذه الآراء سياستها وتجارتها،[4] وكانت تخشى أن يضر ذلك بتجارتها في الشرق، خاصة وأنها لم تكن تريد الاشتراك في عصبة بحرية لمنع الغزو في البحر المتوسط، تكون إدارتها في يد بريطانيا.[5]

أما عن يوسف باشا فإنه بمجرد أن غادر إكسماوث طرابلس وابتعد عن العيان أصدر أمره إلى مغامريه بمزاولة نشاطهم البحري،[6]فخرجت من طرابلس شبابك القرصنة فألقت القبض القبض على سفن تجارية بايوية وقوارب صيد سمك عند سواحل طوسكاتة.[7]وحينما جيئ بمن فيها الى طرابلس،سخر الباشا قائلا:إن الأسرى لن يصبحوا عبيدا كما كان الحال في الماضي ولكن سيصبحون أسرى.[8]

ويبدو من ذلك أن يوسف باشا لم يلتزم بتعهداته السابقة، كذلك لم يعط أي اهتمام لقرارات مؤتمر فيينا، وقد اتضح هذا عندما رفض الباشا استقبال قبطان البحرية النمساوي

---

[1]- عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص 114.

[2]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 147.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 245.

[4]- رود لفوميكاكي، المرجع السابق، ص 175.

[5]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 245.

[6]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 147.

[7]- كامللو متفوري، المرجع السابق، ص 83.

[8]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 147.

الفارس "سيكواليجو pasgualho " عند وصوله إلى طرابلس، في الرابع من أوغسطس سنة 1816م، للمطالبة بالتعويض، نتيجة الأضرار التي لحقت بالسفن النمساوية من قبل السفن الليبية، ولكنه لم يستطع الحصول على شيء لعدم مقابلة الباشا له.[1]

هذا و لم يغير من موقف الباشا، وصول خبر بأن إكسماوث قد قصف مدينة الجزائر بالقنابل في يوم 27 أغسطس، وألزم الداي بتوقيع معاهدة 31 أغسطس التي تنص على إلغاء استعباد المسيحين.[2]

وهكذا بقيت مسألة البحر المتوسط تتأرجح بين المؤتمرات الأوروبية إلى سنة 1818م حينما انعقد مؤتمر إكس لاشابيل "Aix-la-Chapelle".[3]

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 246.

[2]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 179.

[3]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص147.

المبحث الثاني: مؤتمر إكس لاشابيل"aix la chapelle"1818.

ومما يذكر أن مسألة أمن مياه حوض البحر الأبيض المتوسط، قد عرضت في مؤتمر إكس لاشابيل "Aix-la-Chapelle" سنة 1818م، وعهدت الدول الأوروبية المجتمعة فيه إلى كل من انجلترا وفرنسا بإبلاغ إيالات الشمال الإفريقي، تونس، الجزائر، طرابلس، بأن أي اعتداء على تجارة الدول الاوروبية أو سفنها بصفة عامة سوف يقابل ذلك بالقوة، وأن الأسطول الإنجليزي والفرنسي هما اللذان سينفذان هذا الرد بالقوة ضد السفن المهاجمة.

ولما استمرت السفن الليبية في نشاطها البحري رغم ذلك الإنذار شديد اللهجة- ضد الدول الأجنبية خاصة ضد السفن التابعة لنابولي وإسبانيا وتوسكانا وروما عندئذ قررت تلك الدول المجتمعة[1]إبلاغ قرارات المؤتمر مكتوبة عن طريق أميرال إنجليزي وأميرال فرنسي،[2]ونتيجة لذلك فقد أبحر أسطول بريطاني – فرنسي تحت قيادة كل من "الكومودور" سيد توماس فريماتنل fremantel".

والأميرال الجوريانيلا جرافيير "juren de graviere" ووصل هذا الأسطول المشترك المياه الليبية في الثامن من أكتوبر سنة 1819م بعد أن قاما باستعراض أسطولهما أمام مدينة الجزائر ومدينة تونس.[3]

وقد استقبل الباشا الأميرالين في اليوم نفسه وتسلم منهما نص الإنذار وطلبا منه الرد عليه كتابة، وعندئذ أسرع بالتصريح بأنه سوف يترك الغزو.[4]

وقد رد الباشا على ذلك: "..... وطبقا للرسالة الموجهة إلينا فإن صاحب السمو الباشا بتاريخ 18 أكتوبر سنة 1819م قد أعلن لنا إثبات حسن مشاعره وتصميمه إلى ملوك القوى الأوروبية، والذين اجتمعوا السنة الماضية في (إكس لاشابيل) بأن يلغي نظام القرصنة والنهب

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 248.

[2]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 183.

[3]- عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص 248.

[4]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 184.

هذا الذي طويلا ما ارتكب دون وجه حق من قبل دول المغرب ضد أعلامهم وعليه فإننا وصاحب السمو باشا طرابلس، نشعر مبتهجين ومتحمسين بكل مشاعر الاحترام والصداقة لأصحاب الجلالة ملكي بريطانيا وفرنسا، وإلى ملوك القوى الأوروبية، الذين اجتمعوا السنة الماضية في (إكس لاشابيل) فإننا مبتهجين وملتزمين بالعقد المقدس، والوثيقة الحاملة لتاريخ التاسع من أكتوبر 1819م بندين من هذا اليوم –وإلى الأبد- كل مظاهر القرصنة والنهب، سواء بالبحر أو الأرض، وأيضا بعدم السماح لأي من سفننا التجارية بأن تدنو لتهاجم في البحر أي سفينة أو مركب تابعة للقوى المشار إليها أعلى وإننا نتفق وتتعاهد بالتالي تلتزم تماما مع صاحب السمو باشا طرابلس بأن يطبق نظام الجمارك، والاستعمال المعمول به في أوروبا من حيث تنظيم الأصول والإجراءات المتبعة في نظام التبادل التجاري، والذي هو في الواقع الأساسي الحقيقي للسعادة والمجد والرفاهية لكل دولة، وفي حالة قيام أي اختلاف –نتمنى أن يمنعه الله- بيننا نحن باشا طرابلس وأي من القوى المعينة والمشار إليها أعلى، فإننا سوف لن نلجأ إلى أي عمل عدواني، ولكن بهدوء وطيب نية وباحترام، أننا سوف نطرح موضوع النزاع وسوء الفهم أمام أصحاب الجلالة ملكي بريطانيا وفرنسا، ومن حكمهم الحكيم وعد التهم، وإننا مقتنعون أن نهاية حبية تنشأ من توسطهم.[1]

وقد أدى قبول قرارات مؤتمر إكس لاشابيل إلى بعث الطمأنينة حتى لسفن الدول الصغرى، مثل سردينيا وتوسكانا والدولة البابوية وغيرها، فحاولت التملص من التزاماتها، وعدم دفع المبالغ التي اتفقت عليها سابقا مع الباشا لتأمين سلامة سفنها.[2]

ويبدو من ذلك أن موقف الباشا أصبح حرجا للغاية، حيث أن سفنه لم تكن تزاول نشاطها بحرية كما كان سابقا، وبالتالي فقد حرم من مصدر هام بالنسبة لدخل بلاده، لذلك

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 248-249.

[2]- رود لفوميكاكي، الممصدر السابق، ص 184.

فإنه لم يتنازل عن الهبات السنوية والإتاوات التي كانت تدفع حتى خلال هذه الفترة، نظرا للأحوال الاقتصادية المتردية في البلاد.[1]

وقد أصدرت الدول المجتمعة في مدينة فيرونا قرارا جديدا أكد قرار المؤتمرات السابقة،[2]وأضاف إليها اعتبار تجارة الرقيق أمرا محرما وكارثة كبرى دمرت إفريقيا زمنا طويلا، وأسقطت هيبة أوروبا، وعذبت الإنسانية وآلمتها.[3]

ولما كان تنفيذ إلغاء تجارة الرقيق يحرم الباشا من آخر موارده الاقتصادية، ونظرا للضائقة المالية التي كان يعيش فيها، فإنه بدأ يتذرع بحجج ليس لها مبرر لها للحصول على أموال من الدول المسيحية الصغرى، فطلب من السويد ثمانية ألف قرش فضلا عن هدية قيمتها أربعة آلاف قرش فضلا عن هدية قيمتها أربعة آلاف قرش عند تعيين كل قنصل جديد.[4]

وأبرم مع الدانيمارك اتفاق مدته ثماني سنوات، لتأمين سلامة سفنها مقابل دفع عشرين ألف (20.000) سكودو، وقد ترتب على علمه هذا: عودة الذعر واستئناف نشاط البحارة الليبيين، ونقص التجارة واقتصارها على المعاملات التجارية مع مدينتي مارسيليا وليفورنو دون غيرهما.[5]

وفي الوقت نفسه، فإن القراصنة اليونانيين قد ملأوا البحر المتوسط، وبالقرب من المدينة لم تتمكن السفن الليبية من مزاولة نشاطها، خاصة بعد أن أبحر من الأسطول الليبي ثماني سفن مسلحة بمائة وأربعين مدفعا وأكثر من ألف رجل في العاشر من يوليو سنة 1824م للالتحاق بالأسطول العثماني في الحياة اليونانية إثر نشوب الحرب بين الدولتين.[6]

---

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 249-250.

[2]- رودلفوميكاكي ، المصدر السابق، ص 250.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 250.

[4]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 185.

[5]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، ص 250.

[6]- المرجع نفسه،ـــ ص 250.

على أن نهاية القرصنة قد سجلت تدهور بالمنطقة تدهور الازدهار تدهورا كاملا وفي الوقت الذي كانت تعاني فيه حروبا داخلية متزايدة وانتفاضات قبائل الدواخل، وظلت التجارة وحدها تقدم بعض الفوائد ولو أنها كانت في تناقص مستمر بسبب انقطاع قوافل فزان المتكرر.[1]

عندئذ اتجه إلى الاستدانة من رعايا الدول الأجنبية بشروط مثقلة، مما ادى بالتالي إلى التدخل الأجنبي في شؤون البلاد، حينما عجز عن دفع ما عليه من ديون.[2]

دفعته حاجته الشديدة إلى المال للاستدانة بشروط مثقلة، مما ادى إلى التدخل الأجنبي في شؤون البلاد، وحينما عجز عن دفع ما عليه من ديون التجأ إلى غش العملة وإثقال كاهل المواطنين بالضرائب.[3]

[1] – كامللو متفوري، المرجع السابق، ص 84.

[2] – محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة،المرجع السابق، ص 251.

[3] – عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 149.

المبحث الثالث: الحملة السردينية والبابوية على طرابلس الغرب.

أ_حملة سردينيا1825:

أدت طلبات يوسف إلى إيجاد نزاع كبير بين حكومة نيابة طرابلس الغرب ومملكة سردينيا بعد أن أبقيت العلاقات بينهما ودية عدة سنوات.

إذ بعد معاهدة سنة 1816م كان اللورد إكسماوث قد كلف القنصل وارنجتون بإدارة أعمال قنصلية سردينيا في طرابلس[1]، وتأكيد من حكومة تورينو وصل إلى طرابلس الوكيل والقنصل سردينيبا رتوليو بوكاردي boccardi bartolomeابن عم الدكتور دلاشيلا della cella، وظل بوكاردي في المنصب حتى نوفمبر 1817م، وقد خلفه نائب القنصل نيبوموشينوهوجو nepomuceenugo الذي خلفه فيما بعد قنصلا لبلاده في كورفو، فترك الولاية، وسلم القنصلية إلى السينبورغ بارودي G B paradi الذي وصل إلى طرابلس في 03 يوليو 1822م.[2]

وفي ربيع عام 1824م طلب "بارودي" من حكومته إجازة لأسباب صحيحة، وحصل على تصريح بمغادرة القنصلية وحل مكانه فيها مؤقتا الفارس "فوكس faux" الذي كان قنصلا في كورفو، وسافر بارودي يوم 08 سبتمبر وحل محله وكيل القنصلية السرديني في بنغازي أروسوني[3]، وكان موجودا في طرابلس بأعمال خاصة.

وقدمه إلى يوسف باشا في أغسطس 1824م وركب البحر متجها مالطا- وأبلغ الكونت دي لاتوري في نفس الوقت بالإجراءات التي اتخذها، أما فوكس المكلف بالقيام بأعمال القنصلية فقد وصل طرابلس في 1825م.[4]

[1]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 186.

[2] - كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص 259.

[3]- رود لفوميكاكي، المرجع السابق، ص 186.

[4] - كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص 260.

ولما كان الباشا يعتقد أو يتظاهر بأنه يعتقد أن مثل هذه التنقلات المؤقتة كانت بمثابة تغيير حقيقي في القناصل، فإنه طالب بمبلغ أربعة آلاف قرش طبقا لمعاهدة 29 أبريل 1816م وحدد موعدا لا يزيد عن شهرين لدفع هذا المبلغ.

وقد انقضت هذه المدة دون أن يستلم الباشا شيئا، لأن سردينيا لا تريد أن تلبي طلب الباشا، ولكن الأخير بدلا من أن يتخذ موقفا معاديا اتجاهه، فإنه –هذه المرة– تساهل مع القنصل السرديني، وطلب منه أن يدفع ألف قرش حالا حتى يأتي رد حكومته، فوافق على ذلك وسلمه صكا بهذا المبلغ بشرط أن يدفع في ليفورنو بعد خمسة وعشرين يوما[1]، ولكن حكومته لم توافق على ذلك،[2] وأخبرته أن الصك سيدفع لكن خصما من مرتبه.[3]

وفي يوم 06 يونيو عندما تأخر يوسف على طلب دفع الفرق بين المبلغين حرر فوكس بعد أن استشار ورانجتون صكا بمبلغ ثلاثة آلاف قرش تدفع في مرسيليا، ولكن حكومة سردينيا لم تقبل الحجج التي أبداها "فوكس" وأصدرت أمرها بعدم دفع هذا الصك وأمرت بعودة "بارودي" إلى مقر عمله في الحال.[4]

كان لهذا التصرف أثره في نفس الباشا، ففي 7 اغسطس أصدر أمره إلى فوكس بإنزال علم بلاده وهدد بمصادرة السفن السردينية التي تأتي إلى الميناء واحتجاز ربانها وبحارتها.[5]

وإرسال ثلاثة مراكب بقيادة الرايس محمد زريق والرايس مراد والرايس علي القرقاشي إلى عرض البحر للبحث عن المراكب السردينية.

وعندما وصلت هذه الاخبار إلى الحكومة السردينية أرسلت أسطولا بحريا مكونا من ثمانية مراكب موزعة على البحر كالتالي:

---

[1]– محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 347.

[2]– عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 131.

[3]– رودلفوميكاكي، المرجع السابق، ص 186.

[4]– المرجع نفسه، ص 187.

[5]– عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 132.

ثلاثة مراكب من نوع إيريل وثلاثة من نوع قربيطة وإسكونتين بقيادة فرنشيسكو سيفوري (F.sivori) إلى طرابلس.[1]

خرج من سردينيا في الـــ 11 من سبتمبر سنة 1825م وأطل على شواطئ طرابلس في الـــ 25 منه[2] اتصل سيفوري فور وصوله بالقنصل الإنجليزي ورانجتون في مفاوضات مع الباشا الذي عين بدوره الحاج محمد بيت المال رئيس وزرائه رئيسا للوفد الطرابلسي.[3]

كان كل شيء يبدو سهلا ميسرا، إلا أن يوسف تقدم في اليوم التالي بمطالب جديدة كانت تميل في جوهرها إلى فسخ معاهدة سنة 1816، وعندما انقطعت المفاوضات عاد سيفوري ثانية إلى سفينته وأنذر الباشا بأنه سوف يبدأ الأعمال الحربية إذا لم يتسلم في مدى أربع ساعات اقتراحات معقولة.[4]

وعلى أية حال فشل الحوار البارد ليبدأ الحوار الساخن بالمدافع والبنادق، وقامت الحملة السردينية، بعملية إنزال بحري[5]ليلة الأربعاء 14 صفر 1241هـــ،[6]الموافق لـــ 1825/09/28 على الميناء والترسانة[7] فقد قامت سبعة فلايك[8] بنقل الجنود إلى هذه الأهداف بعد أن قسموا أنفسهم إلى ثلاثة أقسام بقيادة الفارس جورجيو ماميلي Giorgio mamili ومساعديه كيجي و باليتا pallita و chigi، اللذين استطاعا الدخول في الميناء وإشعال النار في سفينة حرسية ومدمرة كانتا راسيتين بالقرب من القلعة،[9] في بريك الرايس

---

[1]- احمد سعيد الطويل،المرجع السابق ،ص 332.

[2]- نيكولاي إيليتش بروشين،المرجع السابق، ص 219.

[3]- احمد سعيد الطويل،المرجع السابق، ص333- ص 334.

[4]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 188.

[5]- احمد سعيد الطويل، المرجع السابق ، ص 333.

[6]- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية،ج 01، تح محمد الاسطى وعمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدرسات التاريخية، 2001، ص 325.

[7]- احمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص 333

[8]- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، المصدر السابق، ص 325.

[9]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 188.

حسن الشامي وكذلك في سكونة الرايس مسعود الفروج،[1]وعند محاولتهم الوصول إلى الترسانة الترسانة استطاعت القوات الأرضية إيقافهم بمساعدة مدفعية القلعة والمراكز الدفاعية الأخرى، ورد الأسطول على هذه النيران بالمثل واستمرت هذه المعركة حوالي ساعة كانت الخسائر فيها كثيرة من الجانبين.[2]

وتقدمت الفرقة الثالثة نحو مصنع السفن الطرابلسية وباب الجمرك ومحاولة إشعال النيران في هذا المصنع ولكن نيران الحصن والحامية حالت دون تحقيق ذلك، وتمكنت بعض القوات من النزول إلى الأرض، فتصدى لها رجال الباشا ودارت بينهم معركة بالسلاح الأبيض، فكانت من أشد المعارك التي خاضها جند الباشا، وبفضل شجاعتهم هذه ونظرا لوجود السور الذي يحمي المصنع فلم تستطيع قوات العدو الوصول إليه فارتدت إلى سفنها خائبة،[3]وتدخل القنصل البريطاني لوقف القتال والرجوع إلى التفاوض مرة أخرى.[4]

فأمكن بواسطة القنصل الإنجليزي وارتجنون عقد الصلح، وتجديد اتفاقية سنة 1816،[5] 1816،[5] على أن تدفع الحكومة السردينية مبلغ (8000) فرنك أي ما يعادل (1500) قرش قرش إسباني لمرة واحدة وهو آخر مبلغ دفعته هذه الحكومة إلى طرابلس وبذلك أصبحت حملة سردينيا هذه بداية مشجعة لغيرها من الدويلات الصغرى التي تحاول التخلص من التزاماتها نحو الباشا.

ب: الحملة البابوية1826:

[1]- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، المصدر السابق، ص 325.

[2]- احمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص 333.

[3]- المرجع نفسه، ص 134.

[4]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 349.

[5]- احمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص334.

في سنة 1826 حل دور البابوية، فقد استهان القراصنة الطرابلسيون بكل الاتفاقيات واستولوا على ثلاث سفن تجارية،[1] وجيئي بها إلى ميناء طرابلس وأعلن الباشا أن هذه السفن لن يطلق سراحها إلا بعد أن تقدم له الحكومة البابوية الهدايا المتفق عليها سابقا.[2]

انتظر البابا أن يقوم القنصل الإنجليزي وارنجتون بأي عمل لإرجاع هذه السفن وخاصة أنه المكلف بتمثيل الدولة البابوية في طرابلس.[3]

وعلى ما يبدو فإن بريطانيا قد أدركت حقيقة المناورات التي يقوم بها البابا، على اعتبار أن البابا لو كان صادقا في نواياه، لبادر بدفع ما عليه من ارتباطات للباشا، ولذا فإنها التزمت بالحياد، حرصا منها على بقاء علاقاتها وطيدة مع الباشا.[4]

ولعل بريطانيا كانت حريصة على كسب ود الباشا نكاية في فرنسا التي كانت تحاول جاهدة كسب ود الوالي، وفي الوقت نفسه فإن بريطانيا كانت قادمة على مشروع جديد، وهو جعل مدينة طرابلس قاعدة للكشف الجغرافي في دواخل إفريقيا.[5]

كما أن بريطانيا لم تتدخل في هذا الشأن وتمسكت بالحياد، اتجه البابا إلى فرنسا التي عهد إليها بضمان سلامة حركة الملاحة التجارية للبابا.[6]

وكان القنصل الفرنسي روسو يرى بدوره أن فرنسا يجب ان تضطلع بدور الحامية الوحيدة لمصالح الدول الأوروبية الصغرى وأن تستعرض قوتها البحرية الحربية وتضع يوسف باشا المتطرف في مكانه،[7] واعتبارا منها أن إنجاز هذه المهمة سيرفع من مكانتها سواء أمام الباشا الباشا أو أمام البابا، أو حتى في أعين الشعوب الأوروبية، إلا أن الباشا قد تمسك بمطالبه التي

---

[1]- كوستا نزيو برنيا، المرجع السابق، ص 265.

[2]- محمد الهادي ابو عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 352.

[3]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص ص 134-135.

[4]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 352.

[5]- المرجع نفسه، ص 352.

[6]- كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص 265.

[7]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 219.

أكدها مرارا وهو أن تدفع الدولة البابوية ما عليها من التزامات مادية،[1]لذلك هدد روسو باستعمال القوة في حالة عدم استجابة طلبه والمتمثل في إرجاع الباشا السفن البابوية، ولما لم يهتم الباشا بهذا التهديد أخبر روسو حكومته بالحادث وأيد فكرة البابا في ضرورة الانتقام من هذا الباشا.[2]

فجهزت فرنسا حملة حربية إلى طرابلس، حيث وصلت في الثالث عشر من فبراير سنة 1826، وعلى الفور طالب قائد هذه الحملة "أرنودي لاسولسياي ARNAUSDE LASAAULSAYE" الباشا بضرورة الإفراج عن السفن البابوية الثلاثة فورا وإطلاق ثلاثة وثلاثين طلقة مدفعية تحية للعلم الفرنسي بدلا من سبعة وعشرين كما جرت العادة، بعد أن استمرت المناقشة ثلاثة أيام بشأن هذا الموضوع.[3]

حاول يوسف باشا رفض هذه الطلبات ولكنه حينما تأكد له استعداد الاسطول لقذف المدينة بالقنابل وافق على هذه الطلبات والحقد يملأ قلبه على روسو وحكومته،[4] باستجابته للدخول في المفاوضات، حيث توصل مندوب الباشا وقائد الأسطول الفرنسي، والقنصل الفرنسي روسو على ظهر السفينة (أمازون) إلى اتفاق، تقرر بمقتضاه ما يلي:

أولا: أن ترد في الحال سفن روما التي تم الاستيلاء عليها مع حمولتها.

ثانيا: أن تحترم في المستقبل السفن التي تحمل العلم البابوي.

ثالثا: أن يدفع مبلغ ألفي قرش لأصحاب السفن المستولى عليها وقباطنتها وبحارتها.

رابعا: أن تعتبر فرنسا أحق الدول الأوروبية بالرعاية.[5]

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص ص 352-353.

[2]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 136.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 353.

[4]- عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 136.

[5]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة،،المرجع السابق ص 353.

وقد جرت العادة في العهد االقرمانلي بأن يتوجه الباشا أو من ينوب عنه إلى قنصليات الدول المختلفة، حينما يحتفل أحد القناصل بمناسبة ذكرى جلوس رئيس دولة على العرش البلاد، كما جرت العادة أيضاً على أن يتوجه القنصل صاحب الحفل يتوجه في اليوم السابق على قيام الإحتفال للتشرف بمقابلة الباشا و يسلم له الدعوة كتابياً محدداً فيها المناسبة ومكان الساعة و الإحتفال للتشرف بمقابلة الباشا و سليم له الدعوة كتابياً محددا فيها الساعة ومكان و ساعة الاحتفال.[1] فبذلك اتيحت له الفرصة للإنتقام عندما استدعاه القنصل الفرنسي " روسو" لحضور الاحتفال بعيد جلوس الملك شارل العاشر في الرابع من نوفمبر سنة 1826م

فاستجاب الباشا لهذه الدعوة و أعلمه لانه مهما حدث فإنه لايزال صديقاً لفرنسا ولصاحب جلالها.[2] وقد قام القنصل الفرنسي باستدعاء جميع القناصل و أعلمهم بأن الباشا سوف يحضر بنفسه وبينما كان الجميع في انتظار الباشا.[3]

إذ بوزيره حسونة دغيس يحضر إلى القنصلية الفرنسية لابلاغ "روسو" بأن الباشا لاستطيع الحضور لشعوره بألم مفاجئ [4] منعه من الحضور إلى هذا الاحتفال.[5]

وفهم روسو أن يوسف أراد إلحاق إهانة علنية بفرنسا وقنصلها و ذهب إليه في الحال، ولكن الباشا لم يستقبله وعندئذ أنزل علم بلاده من القنصلية وستعد للرحيل، غير أن الباشا خشى العاقبة ولجأ إلى وساطة قنصل اسبانيا العام [6] وطلب منه اقناع القنصل الفرنسي بالعدول عن الرحيل، فوافق على ذلك بشرط أن يعيد جنود الباشا على ذلك [7] أي يقوم بدفع ارفع العلم الفرنسي بأنفسهم وأن تطلق المدفعية ثلاثة وثلاثين طلقة في الصباح وفي المساء تحية العلم، وأن

[1]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 136.
[2]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 354.
[3]- نفسه، ص 354.
[4]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 137.
[5]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 192.
[6]- المصدر نفسه، ص 192.
[7]- نفسه، ص 193.

يستمر ذلك لثلاثة أيام، ثم في اليوم الرابع يحضر الباشا بنفسه، إلى القنصلية ويرسل نجله سيدي عثمان في المساء، ثم يكرر الباشا هذه الزيارة في اليوم الثاني ويعدل وزير خارجيته الذي كان معروفاً بعدائه لفرنسا وأن الباشا في موكب كبير وعندئذ تنازل روسو عن الزيارة الثانية و عن نفي الوزير.

فبهذا فإن الباشا إستطاع معالجة هذه القضية و هكذا بدا واضحاً حالة التخطيط التي وقع فيها الباشا بين اتخاذ موقف متشدد، ثم الاستسلام إذا ما أدرك خطورة الموقف ولعل السبب في ذلك هو عدم وجود الامكانات العسكرية التي تجعله يقف ضد سلطة الفرنسي. مع فرنسا بخصوص ما يتعلق من خلاف مع الدول البابوية، عادا السلام بين البلدين، و لم يحدث ما يعكر ذلك خاصة بعد التزمت الدولة البابوية بما عليها من إتاوة تجاه الباشا حتى نهاية الحكم القرمانلي في طرابلس .[1]

[1]– محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 354.

المبحث الرابع: الحملة النابوليتانية على طرابلس عام 1828.

لم تتأخر حكومة نابولي في دفع الجزية السنوية للباشا، لذلك فإن سفنها لم تتعرض للاعتداءات من قبل السفن الليبية حتى سنة 1828م، وعندما شعرت نابلي بضعف البحرية الليبية، أخذت تتماطل في دفع الجزية السنوية المقررة عليها،[1]واعتقد يوسف أنه ما يزال قادرا على التسلط على بعض الدول الإيطالية، وأصر أن يطلب هدية فوق العادة من فرانشيسكو ملك نابولي، إذا كان يعتقد أن اتفاق سنة 1816 الذي فرضه لورد إكسماوث يجب إن يعتبر منتهيا.

وعندما تبين أن المفاوضات الاتفاق سلمي قد باءت بالفشل،[2]استغل يوسف باشا هذا الخلاف،[3]فقام بمهاجمة سفنها.[4]

وأرادت نابولي أن تحذو حذو سردينيا فأرسلت إلى طرابلس،[5]فرقة بحرية مكونة من ثلاث فرقاطات وقطعتين كروفيت وقطعة واحدة من نوع إيريك وأسكونة وثلاث مراكب مدفعية بومباردي وتسعة مراكب مدفعية كبيرة بقيادة ألفونسو سوزي كرافا (Allfonso sozi

[1]- محمد الهادي ابوعجيلة، المرجع السابق، ص 356.

[2]- كامللو منفروني، المرجع السابق، ص 88.

[3]- أمحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص 335.

[4]- كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص 265.

[5] - المرجع نفسه، ص 265.

carfa)،[1]وصل اسطولها إلى طرابلس في 22 اغسطس، وتوقف الأسطول خارج ميناء طرابلس طيلة تسعة أيام.[2]

وما أن علم الباشا بأخبار هذه الحملة حتى أخذ يستعد لهذه الحرب، وكان في نظر المراقبين الاجانب، أن الباشا سيضطر للخضوع للأمر الواقع، ويعلنون ذلك بضعف الأسطول الليبي، وعدم وجود الوسائل الدفاعية لدى الباشا،[3]ولكن الأمور سارت على عكس ذلك تماما.[4]

إذ أنه عندما وصل الأسطول إلى مياه طرابلس، رجاء قائده عن طريق قنصل نابولي "كروشلو Crocillo" الذي صعد على ظهر السفينة لتلقي التعليمات، رجا "ورانجتون" قنصل إنجلترا للتدخل لتسوية المسألة.[5]

فوافق القنصل البريطاني على ذلك، وتوجه إلى الباشا لعله يستطيع إقناعه وإنهاء هذا الخلاف بين الدولتين، فاجتمع الباشا طيلة اليوم إلا أنهما لم يتوصلا إلى أي اتفاق، نظرا لإصرار الباشا على طلباته السابقة.[6]

[1]- أمحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص 335.

[2] - شارل فيرو، المصدر السابق، ص 410.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص، ص 358-359.

[4]- رودلفو ميكاكي، المصدرالسابق، ص 197.

[5]- المصدر نفسه، ص 197.

[6]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 359.

وفي اليوم التالي فشلت محاولة أخيرة قام بها وارنجتون "لاسيرينا" وعندئذ أنزل علم نابلي من فوق القنصلية وصعد القنصل كروشلو crecillo على ظهر الأسطول الذي استعد للقتال.[1]

بدأ أسطول نابولي بقصف المدينة، وردت مدافع القلعة والتحصينات القوية على القصف بنيران مشددة وبذلك منعوا سفن العدو من الاقتراب من الأسوار،[2]أيضا ما منع السفن من الاقتراب هو بعد المسافة، فبالتالي لم يكن لهذا القصف أي تأثير على المدينة،[3] وبقيت قطعة تطلق مدافعها دون أن يكون لها أي تأثير.[4]

وأخيرا وافق وارنجتون على عقد معاهدة بين الباشا وحكومة نابولي على الشروط الآتية:[5]

1-قيام حالة الصلح بين البلدين.

2- إن جميع الشروط المنعقدة سابقا بين البلدين باقية على ما هي عليه من الصحة والثبوت.[6]

3-تسلم حكومة نابولي الأسرى من الطرابلسين بغير مقابل.

4-تدفع حكومة نابولي لطرابلس مبلغ 33 ألف فرنك مع إعفائها من الإتاوة السنوية.

وهكذا انتهت هذه الازمة ورجع الأسطول النابوليتاني إلى بلاده ورفع علم هذه الدولة على قنصليتها في طرابلس وسط تحية مدافع الحصون والقلاع.[7]

---

[1]- رودلفو ميكاكي، المرجع السابق، ص 197.

[2]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 222.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 359.

[4]- عمر علي بن اسماعيل،المرجع السابق، ص 141.

[5]- عمر علي بن اسماعيل،المرجع السابق ، ص 141.

[6] - محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 360.

[7] - عمر علي بن اسماعيل،المرجع السابق ، ص 141.

الفصل الثالث

إنهيار حكم يوسف باشا وسقوط الأسرة القرمانلية

المبحث الأول: الأزمة المالية.

المبحث الثاني: الثورات الداخلية.

المبحث الثالث: التنافس الفرنسي الإنجليزي حول طرابلس الغرب.

المبحث الرابع: التدخل العثماني وسقوط الأسرة القرمانلية.

المبحث الأول: الأزمة المالية.

انتزعت نهاية حروب الغزو والمغامرة من يدي يوسف أهم مصدر من مصادر إيراداته و أنقصت كذلك من سلطانه ونفوذه فإنه بذلك اتجه بكل ثقله نحو الداخل ملقياً بمشاكله على كاهل الرعية [1] بالإضافة إلى ذلك احتكار لبعض أنواع التجارة لعله يجد بذلك مخرجاً من هذه الأزمة، ولقد تمادى في هذا الاحتكار حتى أصبحت التجارة بعض أنواع من الصناعات المحلية المستوردة وكذلك شراء كل ما يلزم جيشه وقصره.[2]

وبينما كان الباشا يطلب ثمن ما يبيعه نقداً كان يستدين ثمن الأشياء المستوردة ويؤخذ موعد الدفع إلى آجال بعيدة ، أو يشتريها بموجب بطاقات يدفعها المتعهدون [3]ونظام البطاقات وهو أن يشتري منهم البضاعة ويحرر لهم بطاقات بالمبالغ المطلوبة على بعض المدن ويذهب صاحب البطاقات إلى حاكم المدينة المعينة في البطاقة ليأخذ ما يستحقه.[4]

ولعل سياسة البطاقات كانت من الأمور المتبعة في عهد الأسرة القرمانلية عموماً، حيث كان الأجانب يحصلون على حقوقهم وفقاً لهذه البطاقات إلا أن تدهور الحالة الاقتصادية وعدم وجود فائض مالي كان سبباً لعجز الباشا عن سداد قيمة البطاقات وبالتالي عجز حكام المدن الليبية عن دفع ما محرره الباشا عليهم من بطاقات[5] ومما دفع التجار الأجانب إلى الالتجاء إلى قناصلهم لحمايتهم.[6]

ومن هنا بدأت سياسة الضغط التي مارسها هؤلاء القناصل على الباشا بدأ يتخذ نهجاً جديداً في محاولة للخروج من تلك الضائقة.[7] وتمثل هذا النهج في عقد اتفاقيات لتنظيم سداد

[1]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 200.
[2]- المصدر نفسه، ص 200.
[3]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 231.
[4]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 429.
[5]- المرجع نفسه، ص 429.
[6]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 231.
[7]- محمد الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 430.

هذه الديون[1] ومؤدي هذه الاتفاقيات أن يلتزم الباشا بدفع فوائد معتبرة لقاء تأخير دفع الديون المستحقة.[2]

بحيث أنه عقد اتفاقيتين مع قنصل توسوكانيا في14 رمضان 1245ه _ 17 جمادي الأول 1246ه واللتين تؤكدان وبصورة واضحة مدى التعنت الذي مارسه هؤلاء القناصل على الباشا.[3] كونت الاتفاقية الأولى من سبعة شروط ينصّ الشرط الثاني منها: على أن تنقسم تنقسم المبالغ المستحقة الدفع على الباشا إلى ثلاث سنوات يدفع 42% من المبلغ المطلوب في السنة الأولى 1245ه.و 50% في السنة الثانية والقيمة الباقية في العالم الثالث مع إضافة قيمة التعويضات والفوائد.[4]

وينص الشرط الثالث أن يدفع باقي المبلغ وهو 25% من لزمت العالم القادم ويحدد الشرط الرابع مقداراً الغرامة التي تدفع نتيجة لتأخير دفع أي قسط من هذه الأقساط وقد حددت هذه الغرامة بمقدار 30 %من قيمة الناقص.[5]

وأبرمت الاتفاقية الثانية في أكتوبر سنة 1830م لأن يوسف باشا كان بسبب مصاعبه المالية قد باع مقدماً محصول المناطق المختلفة لعدة سنوات فقرر تابعو توسكانا استبدال نصوص الاتفاقية الأولى وبناء على الشروط الجديدة.[6]

فوجب على الباشا أن يدفع عشرة في المائة 10% من المبالغ المطلوبة منه خلال الأربعة أشهر القادمة على أن يدفع ثلثي هذا المبلغ ذهباً وفضة وقد حدد ثمن الذهب والفضة. أما الثلثْ الباقي فيكون من بعض أنواع السلع الأخرى كذلك يتوجب على الباشا أن يدفع 65%من

[1]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 232.
[2]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق،ص 227.
[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص430.
[4]- المرجع نفسه، ص 430.
[5]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 233.
[6]- نيكولاي إليتش بروشين، المرجع السابق، ص 228.

باقي المبلغ المطلوب من محصول هذا العام، وسواء كان هذا الدفع عن طريق السلع أو عن طريق النقود. و أن أيضاً يدفع باقي المبلغ وهو 27% من محصول العام القادم.[1]

أمّا الشرط السابع من هذه المعادلة فيلزم الباشا في حالة ثبوت الإشاعة القائلة بأنه قد اقترض من فرنسا مبالغ مالية بواسطة الحاج محمد بيت المال وأنه جعل سداد هذه المبالغ على بنغازي فّإنه في حالة يكون ملزماً بكتابة كمبيلات على البنك بالمبالغ التي عليه للدائنين.[2]

وعلى هذا فإن نظام التذاكر قد ساعد على زيادة تابعية طرابلس الغرب المالية لرجال التجارة الأوربيين وخاصة من ذلك الانجليز و الفرنسيين[3] لقد شلت قسوة الأزمة المالية تعكير يوسف باشا لدرجة أنه اتجه فكره إلى وسيلة سقيمة ألا وهي غش العملة المتداولة بين الناس.

في أواخر حكم يوسف كانت تسك النقود بأنواع جديدة كل بضعة أشهر وتشيربعض المراجع إلى أن ثمن العملة لم يثبت يوماً كاملا لتغيير قيمة الواحدة بين الصباح و المساء تساوي في الصباح مائة قرش فإن قيمة هذه الوحدة تهبط في المساء إلى عشريين قرشاً وذلك لزيادة وزن النحاس في الوحدة بين الصباح والمساء.

ولما كان يوسف باشا يقوم بعملية سحب العملة المعدنية بصورة دورية بدأ السكان يقاطعون النقد الجديدة فأنزل عقوبات مشددة بكل من رفض تداول القطع الجديدة ذات النسب النحاسية الكبيرة.

إذا كان إذا كان مسلماً تصادر أملاكه و تقطع يده وقدمه وتصادر أملاكه وإذا كان يهودياً كان يحكم عليه بالموت، وإذا كان مسيحياً مشمولا بحماية قنصل دولته كان ينفى من البلاد.[4] ومن الطبيعي أن تقابل تصرفات يوسف باشا بالاستياء من طرف الأهالي ومن طرف

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 430.

[2]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 233.

[3]- نيكولاي إيليتش بروشين، المرجع السابق، ص 228.

[4]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 200.

التجار الأجانب وهو ما تؤكده بصفة خاصة قصة التاجر الفاكهة اليهودي، الذي رفض في يوليوا 1831م العملة الجديدة ثمنا البضاعة.[1]

فلما علم الباشا بأمره أمر بخلع ملابسه ودهن جسمه بالعسل ثم تخشيه أمام مدخل الكنيس اليهودي بين رعب أبناء طائفته الذين لم يجرؤوا حتى على الاحتجاج ولكن أحد الرعايا الانجليز استطاع أن يفك وثاقه من الحائط ويحمله إلى المنزله، ثم ذهب إلى الباشا وأظهر له أن هذه الطريقة في المعاملة قد تجر عليه غضب الدول وحصل على العفو عن هذا التاجر اليهودي.[2]

يبدو أن محاولات يوسف بشا الإصلاحية باءت بالفشل فتوجه إلى تحميل رعيته بكل المدن والأقاليم بالضرائب، بما في ذلك مدينة بنغازي التي أثقل كاهل الباشا كاهلها بالديون المستحقة من الأجانب على الخزانة إلى حدّ غير محتمل.[3]

لقد قام يوسف باشا بإثقال كاهل السكان باستحداث أعباء نوع جديد من الضرائب قلقة جعل الأهالي يتحملون نفقاته الخاصة، ونفقات الإنشاءات و الترميمات التي كان يقوم بها وتكاليف شراء الأسلحة وتجهيز الجنود بفرض الضرائب استثنائية كلما دعت الحاجة.[4]

فعجز حكام الأقاليم عن جباية الضرائب من الأهالي بسبب حالة الفقر والعوز التي كانوا يعانون منها ممّا أدى إلى انتفاضات عدة في أنحاء متفرقة من البلاد بحيث أن الدخل السنوي لإيالة طرابلس لا يزيد عن خمسمائة ألف قرش يستهلك الباشا ثلثيهُ على بلاطه ومصروفاته الخاصة، حتى أنه كان يعجز عن تسديد مرتبات الجيش الخاص به وموظفيه لأن المبلغ المتبقي

[1]- نيكولاي إليتش بروشين، المرجع السابق، ص 229.

[2]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 206.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 436.

[4]- إنعام محمد شرف الدين، المرجع السابق، ص 315.

ضئيل جداً لا يتجاوز الـــ: 183,000 قرش [1] فبذلك تكون السنوات الأخيرة من حكم يوسف باشا وصلت حالة الانهيار والفوضى ذروتها.[2]

المبحث الثاني: الثورات الداخلية في طرابلس الغرب.

[1]- كامل علي مسعود الويبة، الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب 1842 1911م، مر طاهر خلف البكاء، مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية، 2005، ص 26.

[2]- مسعود البلوشي، المرجع السابق، ص 48.

كما أسلنا الذكر أن المبالغة في فرض الضرائب و التعسف في جبايتها [1] أدى إلى اندلاع الثورات وانتشار حركة العصيان ولعل أهم هذه الثورات وأبرزها ثورة عبد الجليل بن سيف النصر في سنة 1831م ثم ثورة المنشية في سنة 1832م.[2]

أـــ ثورة عبد الجليل سيف نصر 1831م.

رجل من رجال العرب المشهورين في طرابلس ونسبه إلى أولاد سليمان من بني سليم أسرة يوسف باشا القرمانلي سنة 1221ه، وهو صغير وتربى في بيته زمناً فكان هذا ممّا قوى طموحه للرياسة [3] بحيث أنه أتيحت له الفرصة أن يطلع على أسرارها وخفاياها النبيلة الحظوة لدى الباشا [4] كما دعمت أزمته الخلافة داخل الأسرة القرمانلية سلطة الشيخ عبد الجليل سيف النصر[5] والي فزان.[6]

يجر الإشارة بأن الثورات التي قامت بما فيها ثورة عبد الجليل سيف دلت على نوع من التحرك القبيلة ودورها في الحياة السياسية فجاءت تحركاتها بدور نشط في السلطة وضدها وهيا لم تظهر دورها بعيدة عن السلطة بلّ إن موقفها كانت لها خطورة فضلا عن ارتباط أسرتها وعلاقتها مع الدول والسلطة العثمانية.[7]

---

[1]– صلاح أحمد البهنسي، طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني، دار الأفاق العربية، ط01، 2004م، ص 28.

[2]– إنعام محمد شرف الدين، المرجع السابق، ص 319.

[3]– الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، دار المدار الاسلامي، بنغازي، ط03، دت، ص 202.

[4]– عمار جحيدر، المرجع السابق، ص 223.

[5]– توفي يوسف جليل نصر بعد أن ظفرت الترك بوسائط من عيون الأعراب المعادين له فقتلوه غدراً وأخذوا برأسه إلى طرابلس.ينظر: محمد بن عثمان الحشائشي التونسي 1855 1912م، رحلة الحشائشي إلى ليبيا 1895م، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تق وتح: علي مصطفى ألمضراتي، دار لبنان، ط01، 1960، ص 138.

[6]– علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة الاستعمار في ليبيا دراسات في الأصول الاجتماعية والإقتصادية والثقافية لحركات وسياسات الوطني ومقاومة الاستعمار 1830 1932م،

[7]– خالد عمر مادي، القبيلة في النظام السياسي الليبي،جنوب الليبي، العدد الأول، ديسمبر 2015م، ص 162

في سنة 1826م عندما ثار أهالي مدينة "برنو" على حاكمهم الشيخ محمد الأمين استنجد بيوسف باشا الذي تربطه به علاقة وثيقة[1] فأرسل يوسف باشا عبد الجليل سيف نصر على رأس جيش النجدة فقاتل أعداء محمد الأمين وانتصر عليهم ورجع إلى طرابلس ظافراً ومعه كثير من الرقيق والمتاع[2] ولقد كان لهذا الانتصار أكبر الأثر في تغيير مفاهيم تفكير لأن هذا الانتصار أعاد إلى ذاكرته تلك الحملات التي أرسلها يوسف باشا ضد والده وأعمامه وإخوته فصمم على الانتقام لمن توفى منهم.[3]

انتهز عبد الجليل فرصة الغليان الشعبي وأعلن ثورته بنواحي ورفلة[4]وانضمت إليه بعض القبائل وعندما علم يوسف باشا بذلك أرسل إليه يدعوه للحضور للتفاوض معه على ما يرضيه [5] ولما كان عبد الجليل مطلعاً على أسرار يوسف باشا ودسائسه الحقيقية اكتفى بإيفاد أحد أعوانه إليه يبرر له أسباب ثورته ضده فكان مقتل ذلك المبعوث هو الجواب الذي ردّ عليه به.[6] به.[6]

فكان لتصرف يوسف باشا هذا أسوأ الأثر في نفس عبد الجليل ممّا يتمادى في ثورته التي أخذت تتسع وتكسب مع الأيام العديد من المناصرين والمؤيدين لها[7] فاستغل القنصل الإنجليزي وارنجتون هذه الفرصة لإعادة نفوذه، فعرض وساطته لدى الباشا لحمل عبد الجليل على الطاعة فرفض الباشا هذه الوساطة وذلك بسبب علاقة وارنجتون بعبد الجليل هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الباشا كان يعتقد بأن وساطة أجنبي قد تظهر بهيبته ونفوذه وبالتالي تعطي الفرصة

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص، ص 437 438.

[2]- طاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 202.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 238.

[4]- ورفلة: أو ورفلة كلمة بربرية، إسم لبطن من بطون قبيلة هوارة البربرية يقال لها ورفلة. ينظر: طاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ط01، 1968، ص 356.

[5]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 251.

[6]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 421.

[7]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 251.

لبقية القبائل بالتحريض ضده[1] أمّا عبد الجليل من جهته عمل على الاستيلاء على مركز الثورة في الجنوب فإحتل فزان[2] وسيها وسكونة بحيث مثل هذا الاحتلال ضربة قوية للباشا[3] فإنه لم لم يكن أمامه من بدّ سوى العمل على تجهيز حملتين الأولى بقيادة ابنه علي والثانية بقيادة ابنه إبراهيم.[4]

وفي يوم 29 سنة 1831م أصدر الباشا أوامره إلى جيشه بالتحرك في اتجاه معقل الثوار في منطقة "بني وليد"[5] وهاجموها حتى عسكر جيش الباشا عند القلعة الحطابة وعندما علم عبد الجليل بذلك أمر رجاله بمهاجمة جيش الباشا بالليل، ودارت معركة بين الجانبين استمرت ثلاثة سعات وفي الصباح الباكر تمكن جيش الحملة من أن يلحق بالثوار الأضرار الفادحة بلّ كاد أن يستولوا على مواقعهم لولا تدخل أولاد أبو سيف الذين رفعوا بين الفرقين الرايات البيضاء [6] وتوسطهم للصلح على أساس أن يقوم عبد الجليل بإخلاء فزان ويرد الغنائم ويسلم ألف جمل نظير الاعتراف به زعيماً لمنطقته أورفلة ولضمان احترام هذه الاتفاقيات يقوم عبد الجليل بتقديم بعض الرهائن الذين يختارون من بين رؤساء قبيلته.[7]

ويبدو أن الباشا لم يوافق على تلك المقترحات فبذلك وقعت معركة أخرى بين الثوار ورجال لحمله على مقربة من قصر القيادة إلا أن جيش الباشا لم يحقق هذه المرة أي انتصار يذكر وما إن توسط أولاد أبو سيف مرة أخرى حتى قبل الباشا هذه الوساطة لأنه لم يكن في مقدوره تزويد الحملة بالمؤن و الذخائر، وخصوصاً وأنه قد علم بفرار الكثير من جنود الحملة [8]

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 439.

[2]- فزان: تنحدر من قبيلة هوارة وقبيلة هوارة هي بربرية الأصل. ينظر:إسماعيل كمالي، سكان طرابلس الغرب، تع وتق حسن الهادي بن يونس، مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية، طرابلس ، 1997، ص 23.

[3]- إنعام محمد شرف الدين، المرجع السابق، ص 319.

[4]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 493.

[5]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 252.

[6]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 440.

[7]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 231.

[1] إلا أن عبد الجليل لم يحترم الشروط التي تم عليها كلها إذا سرعان ما بدا عبد الجليل في المراوغة وكان يؤجل تنفيذ باقي الشروط من يوم إلى آخر.[2]

ولكي يتخلص يوسف باشا من هذه ا الموقف الذي كان يضطره إلى الاحتفاظ بقوات كبيرة تكلفه كثير من النفقات وتجعله محل سخط الأهالي وغضبهم الشديد لأنهم هم الذين كانوا يقدمون له القوات المحاربة فقد صرح بأنه على استعداد لقبول وساطة القنصل البريطاني تلك الوساطة التي سبق ليوسف باشا أن رفضها.[3]

ويبدو أن وارنجتون لم يكن صادقا في فكرة التوفيق بين الثوار والباشا كما يدعي وإنما يهدف من وراء ذلك إلى إعضال الفتنة أكثر ضد الباشا للانتقام منه والقضاء على حكمه خاصة بعد التقارب الذي حدث بين طرابلس وفرنسا إثر قدوم "شويبل" قنصل فرنسا الجديد لذا فقد أراد إرجاع نفوذه وهيبته بلاده [4] كما أن الزعيم الباشا الثائر رفض إخلاء فزان بأي حال.[5]

وعلى ذلك قرر يوسف باشا إرسال يوسف المكني على رأس حملة اشترك فيها العديد من الرجال الأشداء الأقوياء استطاع أن يسترد منهم مدينة مزرق بعد أن دافع عنها إخوة عبد الجليل دفاعاً مستميتاً وفي هذه الأثناء أرسل محمد المكين إلى الباشا يطلب المزيد من الإمدادات حتى يستطيع أن يحقق المزيد من الانتصارات غير أن الباشا لم يكن الباشا يطلب المزيد من الانتصارات [6] غير أن الباشا لم يكن في حالة تسمح له بإرسال هذه الإمدادات المطلوبة لان

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 441.

[2]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 232.

[3]- المصدر نفسه، ص 232.

[4]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 442.

[5]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 232.

[6]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 256.

الأوضاع في البلاد قد تأزمت عن ذي قبل لذا فقد عاد العداء مرة ثانية بين الباشا و القنصل الإنجليزي وارنجتون من أجل تسديد الديون.[1]

ب: ثورة المنشية.

كانت أشد خطورة بما أفضت إليه من نتائج كانت أكثر عمقاً بالنسبة للسلطة ففي هذه السنة وتحت ضغوط القنصلين الانجليزي والفرنسي اللذان طالب بسداد جميع ديون رعايا بلادهما اضطر الباشا للاتجاه إلى أهالي المنشية والساحل.[2]

بفرض الضريبة عليهم والتي كانت معفاة منها حتى يتمكن الباشا من تسديد ديونه غير أن الأهالي رفضوا ذاك معلنيين الثورة [3] وطالبوا بسقوط حكمه وأخذوا يدقون الحرب إعلانا لثورتهم ولاستعدادهم للقتال، وما هي إلا ساعات قليلة حتى إشتغلة الثورة في بعض مدن وقرى الإيالة وتقدم الثوار إلى حفيد الباشا وهو محمد بيك على هذا الأمر.[4]

ولقد فشلت القوات التي دافع بها يوسف للقضاء على هذه الثورة التي تزايد أنصارها بانضمام بقية المحيطة بطرابلس إليها وازداد موقف الباشا حرجاً بتواصل تحركات عبد الجليل بن سيف نصر، وقيام الاضطرابات من جديد في المنطقة الشرقية.[5]

---

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 320.

[2]- إنعام محمد شرف الدين، المرجع السابق، ص 315.

[3]- عبد الجليل التميمي،بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس الجزائر ليبيا 1816 1871م، دار التونسية للنشر، ط01، مارس 1972، ص 270.

[4]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 265.

[5]- إنعام شرف الدين، المرجع السابق، ص، ص 320 321.

المبحث الثالث: التنافس الإنجليزي ــ الفرنسي حول طرابلس الغرب.

أخذت سلطة يوسف باشا و هيبته تتناقص يوماً بعد يوم، حتى في أوساط البلاط، و أصبح عاجزاً عن الحركة و الكلام، غير أنه كان يشعر بعودة الشباب و الهمة إليه ما كان يقع حادث شديد يمس كرامته أو مصالحه و لم تعد تظهر فيه تلك المهارة التي عرف كيف يقاوم بها مطالب ممثلي فرنسا و انجلترا عندما كان يوهم كلا منهما بالانحياز إليه و رعاية مصالحه، و يستفيد من ذلك فوائد جمة[1].

فلا شك أن الحرب نابليون في البحر المتوسط بصفة عامة، و حملته على مصر بصفة خاصة، تلك الأهمية التي دفعت بريطانيا للحصول على أي تقارب بينها و بين طرابلس الغرب لكي تقيم نوعاً من التوازن في العلاقات الدولية، و حتى لا تكون لفرنسا الأسبقية و بالتالي يمكنها إحباط محاولات فرنسا لكسب طرابلس بجانبها خاصة بعد أن نجحت في توثيق نفوذها في مصّر[2].

فالتنافس الاستعماري العنيف الذي كان قائماً بين إنجلترا و فرنسا، دفع بريطانيا بكل ما لديها من وسائل لتوطيد علاقاتها مع حكام الأسرة القرمانلية، و هكذا أدى تزايد الوجود الانجليزي في البحر المتوسط إلي تزايد مصالحها مع إيالة طرابلس التي تحصلت على أسواق جديدة لتصريف منتجاتها الزراعية و الحيوانية و كذلك عوائد الغزو من خلال وجود وكلاء تجاريين جدد حيث حرصت انجلترا على تصريف منتجاتها الصناعية في الشرق لكي تستطيع

[1]- ردولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص 209.

[2]- محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص ص 399- 400.

كسر الحصار الفرنسي لها و إفشال سياسة نابليون التي كان يهدف من وراءها إلي تحطيم الاقتصاد الانجليزي[1].

فاختارت بريطانيا احد رجالها المشهورين بالكفاءة و الخبرة و النشاط ليكون قنصلا عاما في طرابلس هو: "الكلونيل وارنجتون" و الذي سبق أن حارب ضدا نابليون في اسبانيا و استطاعت بريطانيا بفضل نشاط هذا القنصل أن تتغلب على النفوذ الفرنسي عند يوسف وأن تعوض بيه ما فقدته في مصر، وفي الوقت الذي وصل فيه التدخل الانجليزي قمته في البلاد نجد فرنسا هي أيضاً تعمل جاهدة على إبقاء نفوذها في البلاد،[2] فقد أدى عجز الباشا عن مقاومة الضغط و الوقوف في وجه التهديدات إلى الخضوع لمن كان أكثر هيبة، فمن الأسباب التي أدت إلى سقوط الأسرة القرمانلية هي موقف الباشا الذي وقفه إزاء نزاع كبير قام بين القنصل الانجليزي "وارنجتون" و القنصل الفرنسي "روسو"[3].

كان الخلاف بين قنصل فرنسا و قنصل إنجليز في طرابلس خلافاً قديم العهد، و كان هذا يرجع الخلاف إلى أسباب ذات صفة عامة ـــ اقتصادية و سياسية ـــ كان يشيد أحياناً بتأثير مصالحة القنصلين الشخصية و طبيعتها، كما حدث بنوع خاص بين روسو و وارنجتون الذي نجح بكبريائه و عجرفته و همته و حزمه في الحصول على الأسبقية على قناصل الدول الأخرى و سيطرة على يوسف باشا حتى كان يقال عنه إنه الباشا الحقيقي[4].

فإن روسو قد نجح في مهمته لدرجة أثارت القنصل الإنجليزي الذي أخذ يعمل من جانبه على تدعيم مركز بلاده ممّا أوجد نوعاً من التنافس بين القنصل الإنجليزي من جانب والقنصل

---

[1]- أمحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص280.

[2] - محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 202.

[3] - روسو:هو قنصل فرنسي وصل إلى طرابلس في 30 يوليوا 1825م أخذ يضاعف من نشاطه، لدرجة أنه تمكن من إجبار الباشا على احترام السياسة الفرنسية بدرجة لا تقل على القنصل الإنجليزي، وروسو كان ن المستشرقين المعروفين، فإنه كان يتمتع بميزة القدرة على التداول والتحدث مع والتحدث مع الباشا مباشرة دون حاجة إلى مترجم لأنه يتقن اللغة العربية.ينظر: محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة ، المرجع السابق، ص402.

[4]- المرجع نفسه، ص 209.

الفرنسي من جانب آخر، بهدف السيطرة و الاستحواذ على الباشا، و كانت وسيلة كلا منهما مضاعفة النشاط الاقتصادي و السياسي[1].

و لعل هذا التنافس كان سبباً في إرباك الباشا، و خلق العديد من المصاعب أمامه، ممّا أفقده في النهاية قدراً كبير من سلطته و هيبته، فأخذ القنصل الفرنسي يعمل على اكتساب صداقة كبير الوزراء، الحاج محمد شلبي بيت المال، الذي كان رجلاً كبير السلطة واسع النفوذ وزعيم لجماعة القولوغلية التي كانت أقوى سند للأسرة القرامانلية.[2]

أمّا وارنجتون فإنه ضمن تأييد "حسونة الدغيّس" الذي عين وزيراً للخارجية بعد، عودته إلى طرابلس إثر وفاة والده محمد الدغيّس لكن عند عزله، أصبح عمل حسونة الدغيّس لا قيمة له عند وارنجتون و لا يفيد بشيء، و قد أتهمه بالخيانة و نكران الجميل، إذ أتهمه هو و روسو بأنهما ساهما فيما آل إليه أمر المكتشف أــ غوردون لاتج A Gordin laing[3] .

فكان من العوامل الأساسية التي ضاعفت من التدخل الأجنبي و زيادة حدة التنافس بين إنجلترا و فرنسا: حركة الكشوف الجغرافية و الوصول إلى أوساط أفريقيا، فأسست جمعية كشف أوساط أفريقية الإنجليزية[4]، فأرادة إنجلترا أن تجعل طرابلس الغرب قاعدة لها، و قد قام بهذا قنصلها "وارنجتون" الذي أخذ على عاتقه نجاح هذا المشروع و جعل طرابلس قاعدة له، و من خلال سيطرته على الباشا استطاع أن يحصل على تعهد بضمان سلامة المستكشفين الإنجليز عبر الأراضي الليبية، و تقديم المساعدة الممكنة[5].

---

[1]- نفسه، ص 403.

[2]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 410.

[3]- المصدر نفسه،ص ص 410-411.

[4]- جمعية كشف أوساط إفريقيا: تأسست الجمعية الإنجليزية لاكتشاف أفريقيا الوسطى سنة 1787م بهدف تشجيع البعثات العلمية في الدواخل القارة الإفريقية وكشف خفاياها وأسرارها الجغرافية. ينظر: أحمد سعيد الطّويل، المرجع السابق، ص 325.

[5]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 405.

فكانت أولى هذه البعثات تتكون من: الدكتور "ريتش ritchie" و الكابتن "ليون lyon" و"دي بونت fepont " و على الرغم من أن النتائج المرجوة من تلك البعثة لم تتحقق، إلا أن القنصل الإنجليزي قد كتب إلى حكومته مشيداً بالانجازات الهائلة التي حققتها البعثة، لذا فقد اهتمت الخارجية البريطانية بهذه المشروعات حيث أرسلت بعثتين أخريين إحداهما تقوم بمسح سواحل سرت و برقة و دراسة أثار هذا الإقليم تتكون من[1]: "وليم اسميث و الإخوة "بيتشي beehey" حيث وصلوا إلى مدينة طرابلس في سبتمبر1821م، فكان استقبال السيد وارنجتون القنصل البريطاني العام في منتهى الودّ والمجاملة و تقديم كامل العون للرحلة التي نقل خبرها إلى الباشا الذي أقام موعدّ اللقاء بنا فتكرم الباشا تلبية لهذا الطلب، بتقديم كامل المساعدة و بدون أي مقابل [2] أما الثانية فكانت مهمتها كشف بلاد السودان.[3]

ومن المؤكد أن وارنجتون كان حريصاً على أن تكون منطقة الشمال الأفريقي موضع اهتمام انجلترا فقط، ولعل هذا ممّا يضاعف الاعتقاد من أن الصراع الإنجليزي ـــ الفرنسي قد وصل ذروته وخصوصاً بعد قتل الرحالة الانجليزي "جوردن لاينج"[4] الذي أرسلته إنجلترا لإتمام أعمال البعثة السابقة لكشف بلاد السودان الغربي [5].

---

[1]- المرجع نفسه، ص407.

[2]- الإخوان بيتشي والساحل الليبي 1821 1822، تر: الهادي مصطفى أبو لقمة، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط 01،1999م، ص20.

[3]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع نفسه، ص 407.

[4] - جوردن لاينج: ولد في أدنبره يوم 27 ديسمبر1793م وكان مثقفاً وضابطاً من ضباط المستعمرات البريطانية، قدم إلى طرابلس في يونيه 1825م ليبدأ رحلته من طرابلس إلى أوساط أفريقيا، وقد توثقت علاقته بالقنصل "وارنجتون" الذي زوجه ابنته وبعد يومين من هذا الزواج، بدأ رحلته في 16 أغسطس 1826م متجهاً نحو غدامس، وبعد أن عمل في الهند الشرقية عدة أعوام انتقل إلى مستعمرات سيراليون ثم ساحل العاج حيث قام بمهمات كبيرة ذات طابع جغرافي، أظهرت صفاته ومواهبه كمكتشف جغرافي ممّا جعل وزارة المستعمرات تختاره لمواصلة الكشف واستئناف الخطة القديمة الرامية إلى الوصول تمبكتوا الغامضة حتى نهر النيجر. ينظر:النشاط الليبي في البحر المتوسط ...، ص 409.

[5]- محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص409.

في يوم 16 أغسطس 1820م بدأ برحلة هذه الرحلة التي شاء القدر أن يتلقى فيها مصرعه بعد أن توغل خارج حدود إيالة طرابلس[1] وبعد أيام من سفره، وصل إلى " تمبكتو" فإضطر إلى الإبتعاد عن الأعيان المنطقة الذين أمرهم رئيس قبائل بعدم السماح لهذا الأجنبي بالإقامة بينهم، وأثناء إتجاهه إلى سانسيدى في إقليم "بامبرا" إغتاله أحد الحراس الوطنيين الذي كان مجنداً[2] وعندما وصل الخبر للقنصل الإنجليزي "وارنجتون" أتهم الباشا بأنه هو المسئول عن مقتله، وإحتج الباشا عن هذا الاتهام وقرر أنه لا يمكن أن يعتبر مسئولاً عن حوادث تقع خارج حدود بلاده[3] وليس لي أي حماية[4] وقدّ ردّ الباشا في خطاب وجهه إلى وزير الخارجية البريطاني "وليم هسكن" في26 يناير 1828م موضحاً فيه الأمور التي تتعلق بهذا الحدث، مؤكدا عدم مسؤوليته عمّا حدث، فقد جمع كل الخطابات والوثائق المتعلقة بالموضوع والتي تأكد في مجملها عدم مسؤولية يوسف باشا عمّا حدث وسلمها إلى ورانجتون[5] وعلى الرغم من كل المبررات التي أوردها الباشا، إلا أن وارنجتون قد ألقى بالمسؤولية، على الباشا لدرجة أنه بدأ يفكر في الإنتقام وتلقين الباشا درساً قاسياً.[6]

فبعد أن فشل القنصل "وارنجتون" في اتهام الباشا، أخذ يبحث عن طريقة أخرى حيث أتهم"روسو" القنصل الفرنسي علانية مدعياً أن له دخلاً في مقتل"لاينج" وأبلغ حكومته بذلك، ولم يكتف "وارنجتون" باتهام القنصل الفرنسي فقط، بلّ إستطاع أن يجبر الباشا على أن يستدعى " محمد الدغيسّ" شقيق حسونة الأصغر، وينتزع منه بالتهديد تصريحاً بأن أوراق "

[1]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص239.

[2]- رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص 214.

[3]- رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص 215.

[4] Major dixon Denham, marratve and dexoveries in northern and central Africa in the years 1822,1823 and 1824 London, 1826 p 23

[5]- محمد عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 410.

[6]- المرجع نفسه، ص 412.

لاينج" قد حملت فعلاً إلى حسونة الدغيسّ الذي سلمها إلى قنصل فرنسا [1]، وزاد اتهامه للقنصل الفرنسي "روسو" بأنه قد تحصل على الأوراق المذكورة من "حسونة الدغيسّ" مقابل التنازل على 40% من الديون التي كان "روسو" مكلفاً بمطالبة منه.[2]

وقد ابتهج "وارنجتون" بهذا الاتهام الذي وجهه الباشا لروسو، وقد استاء هذا الأخير من هذا الاتهام، وقد طلب " روسو" من الباشا ترضية عن هذه الاهانة العلنية وطلب من الباشا تكذيب رسمي لهذا الاتهام والإهانة التي لحقت بفرنسا، وإنه سيغادر البلاد إذا لم يتلق نصّ هذا التكذيب حتى المساء، وعندما لم يتلقى هذا النصّ خلال الفترة الممنوحة [3]، أنزل علم بلاده في يوم 5ديسمبر و أبحر إلى تونس[4] بعد أن عهد إلى القنصل الإسباني رعاية مصالح بلاده.[5]

وهكذا فقد تطور الخلاف بين بريطانيا وفرنسا، وبدأت سلسلة من المكاتبات والمراسلات بين البلدين، ولكن فرنسا التي كانت واثقة من سلامة موقفها، تمسكت بوجوب إجراء تحقيق صارم في قضية "لاينج" ووثائقه، فأسفرت تلك التحقيقات عن استحالة إثبات الاتهام ضد "روسو" وأن كل التهم الموجهة إليه باطلة.[6]

ويبدو أن هذا الحادث قد أدى إلى ارتباك كبير في البلاد نتيجة التنافس بين البلدين داخل البلاد، والذي راح ضحيته الباشا ومعاونوه. فالموقف الذي سلكه الباشا تجاه بريطانيا وانحيازه إليها و هو يعلم أن "روسو" برئ من كل التهم التي وجهت إليه [7]، و كانت نتيجة التحقيقات

[1] – عمر علي بن إسماعيل، المصدر السابق، ص 240.

[2] – محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 415.

[3] محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، ص 415.

[4] عمر علي بن إسماعيل،ص 240.

[5] محمد عبد الله الهادي.....ص415.

[6] محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، ص417.

[7] محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص418.

التحقيقات إثبات براءة القنصل الفرنسي ممّا نسب إليه، وعلى إثر ذلك قررت الحكومة الفرنسية تأديب يوسف باشا.[1]

ففي يوم 29 أبريل 1827م وقع حادث " المروحية " المعروف الذي إدعى فيه قنصل فرنسا في الجزائر " دفال duval" أن داي الجزائر أهانه إهانة بالغة لا يمحوها إلا الإعتذار فرفض داي الجزائر الإعتذار فتأزم الوضع بين فرنسا و الجزائر.[2] ففي الخامس من يوليو سنة 1830م، أرسلت حملة بحرية إلى الجزائر استطاعت أن تستولي بها على المدينة[3]، فأظهر" يوسف يوسف باشا شعوره كبقية المسلمين الصالحين، و أبدى أسفه لسقوط مدينة الجزائر في أيدي الكفار ولكنه ـــ في قرارة نفسه ـــ شعر بالفرح، إذ أعتقد بأن العاصفة ابتعدت عنه منذ ذلك الوقت، و أنه سلم من الخطر.[4]

و بعد الاستيلاء على مدينة الجزائر في 05 يوليه سنة 1830م، و أعطيت الأوامر اللازمة إلى "الأميرال de rosamel" بالتوجه إلى طرابلس بأسطوله المكون من سبع سفن بحرية [5]، و ذلك لاتهام روسو بتدبير اغتيال الرحالة الانجليزي " لاينج " ، و قد وصل هذا الأسطول إلى طرابلس في عصر يوم 09 أغسطس 1830م، و ما أن أخذت هذه السفن أماكنها حتى نزل منها: ضابط و مترجم يحملان رسالة إلى الباشا تتعلق بما بدر منه تجاه فرنسا و قنصلها، فاجتمعا بالقنصل الإسباني المكلف برعاية مصالح فرنسا ثم ذهبا إلى القلعة لمقابلة الباشا و تسليمه هذه الرسالة، و في الوقت نفسه أرسل قائد الأسطول الفرنسي منشوراً إلى قناصل الدول الأجنبية يخبرهم فيه بغرض من مهمته، و يقم لهم سفن كملجأ في حالة القتال.[6].

---

[1] عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 242.

[2] احمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دط، دار النهضة العربية، بيروت، 1970، ص284.

[3] محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 224.

[4]- رودولفو ميكاكي،المصدر السابق ص222.

[5]- المرجع نفسه، ص 222.

[6]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 421.

و عندئذ استدعى الباشا في الحال مجلسه العام و أبلغه بمطالب الحكومة الفرنسية [1]، و أن فرنسا تنوي الاعتداء على طرابلس بسبب ما لحق قنصلها من اهانات، و قد تلا الباشا نصّ الإنذار الفرنسي، و الذي ينصّ على أن يتعهد الباشا بعدم الاعتداءات بجميع أنواعها على السفن الأوروبية، و في حالة الرفض من جانب الباشا و عدم التواصل إلى عقد اتفاق بين فرنسا و طرابلس إلى شروط مرضية يمكن العمل بهذا فإن هذا الأسطول سوف يقصف المدينة إذا لم يجيبوه في خلال 24 ساعة [2].

و في جلسة صاخبة استمرت إلى ساعة متأخرة من الليل، و اعترف الجميع بعدم جدوى المقاومة، و أعطى الباشا لوزيره " الحاج محمد شلبي بيت المال"، الذي كان قد عاد منذ عهد قريب إلى طرابلس جميع الصلاحيات و التفويض الكامل للقيام بالمفاوضات الفرنسية حتى يصل معهم إلى اتفاق نهائي و توجه الوزير من فوره إلى الأميرال، و حاول حمله على تلطيف الشروط المذلة للباشا، ولكن "دير وزامل " رفض رفضاً تاماً أن يحيد عن موقفه، و كل ما سمح به دفع التعويض على قسطين: قسط يدفع فوراً و قسط يدفع بعد أربعة أشهر [3].

و في 11أغسطس 1830م توصل الطرفان إلى عقد هذا الاتفاق و تم نشره في الشوارع الرئيسية من المدينة مكتوباً باللغة العربية على ألواح خشبية، في الوقت الذي كانت تؤدي فيه مدافع القلعة التحية للعلم الفرنسي، بإطلاق ثلاث و ثلاثين طلقة مدفعية.

و قد احتوى هذا الاتفاق على ثمانية بنود:

حيث يشير البند الأول: إلى أن يقوم يوسف باشا بتقديم اعتذار رسمي بسبب الأضرار التي أجبرت القنصل الفرنسي على مغادرة البلاد، كما يعلن عدم مسؤوليته عن الإشاعات ضد "روسو" كي يعبر عن الرغبة الكاملة في إعادة العلاقات القديمة [4].

---

[1]- رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص 223.

[2]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 421.

[3]- رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص 223.

[4]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص422.

و ينصّ البند الثاني: على أن يتعهد الباشا بمنع سفنه من مزاولة نشاطها ضد السفن الأجنبية عموماً، كما لا يحق للباشا في المستقبل زيادة قوته البحرية عن القوة التي يملكها في الوقت الحاضر، و نص في طلب المعاهدة على تشكيل لجنة لحصر هذه السفن و المعدات الحربية.

و يشير البند الثالث: على أن يلغى وللأبد استرقاق المسيحيين و يعتق جميع الأسرى الموجودين، في حالة ما إذا وقعت حرب بين الباشا و دولة أخرى، فإن الأسرى يعاملون معاملة أسرى حرب حسب عرف الدول الأوروبية [1].

و يشير البند الرابع: أنه في حالة قدوم أي سفينة أجنبية إلى الشواطئ الطرابلسية تقدم لها جميع المساعدات اللازمة، و ضمان سلامة ركابها و طاقمها، و في حالة ما إذا حدث اغتيالات ضد هؤلاء الركاب و الطاقم ففي هذه الحالة تتابع محكمة الدولة مرتكبيها و تعاقبهم عقاب القتلة، و في حالة ما إذا غرقت سفينة أجنبية و نهب أمتعتها: فإنه على الباشا ردّ ثمن تلك الحمولة إلى قنصل الدولة التي تنتمي إليها هذه السفينة [2].

و يشير البند الخامس: إلى أنه في حالة تعيين قناصل أو وكلاء تجاريين من أي مكان من البلاد، أو عقد معاهدة فإن عملية الهدايا تلغى، وكذلك الضرائب تعتبر ولا يجب فرضها أو المطالبة بها مستقبلاً.

و يشير البند السادس: أنه على الرعايا الأجانب المتاجرة في البلاد بحرية كاملة مع المواطنين الطرابلسيين، كما في استطاعتهم الشراء منهم و البيع إليهم [3].

أما البند السابع:أن يوسف باشا بعد أن دفع أربعة ألف فرنك نقداً التزم بدفع مبلغ مماثل بصكّ موعده 20 ديسمبر، وتعهد الحكومة الفرنسية بدورها بدفع ديون الرعايا الفرنسيين قبل حكومة طرابلس.[4]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 422.

[2]- محمد عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص463.

[3] - المرجع نفسه، ص 224.

[4]- رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص 224.

و نصّ البند الثامن: على حرية التجارة و منع الباشا من احتكاره لبعض الأصناف التجارية التي كان يحتكرها في الماضي.

و ألزم البند التاسع: يوسف باشا بدفع 800 ألف فرنك كمصاريف عسكرية لفرنسا على إرسالها لأسطولها لطرابلس، و يشمل هذا المبلغ على دفتين، يدفع نصفه في 16 أغسطس سنة 1830م، أمّا نصفه الثاني فيدفع في ديسمبر سنة 1830م [1].

رأى يوسف بعد هذه المعاهدة التي وقعها في فزع واستسلام أن سلطته تتلاشى وفقدما كان قد بقى لديه من همة و عزيمة.[2]

المبحث الرابع: التدخل العثماني وسقوط الأسرة القرمانلية.

أ: تنازل يوسف باشا عن الحكم.

و أمام هذه الأوضاع السيئة التي تمر بها البلاد [3]، و قسوة الأزمة المالية لم يعد في وسع يوسف باشا القيام بأي عمل من شأنه إصلاح الحالة الاقتصادية، و تحوله من حاكم يعيش من أجل ملذاته وشهواته [4]، إلى عجزٍ عن الاستمرار، و فشله في مواجهة الحركة الانتقامية التي أخذت تمتد من أسوار المدينة، و تتسع بسرعة حتى شملت كل الولاية، و كان معظم أنصاره و مؤيديه كانوا قد تخلوا عنه في ذلك الوقت و ألقت عليه جماعات الوطنيين مسؤولية الكوارث التي وقعت فيها نيابة طرابلس الغرب و طلبوا منه أن يتنازل عن العرش و يعين علي بيك مكانه و قد أشار عليه الوزير "ابراهيم بومويس" أحد القولوغلية القلائل الذين بقوا في المدينة و هو

[1]- عمر علي بن إسماعيل،المرجع السابق، ص 243.

[2]- رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص 225.

[3]- محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 463.

[4]- عمر علي بن إسماعيل، المصدر السابق، ص 234.

رجل كان يخلص كل الإخلاص ليوسف باستدعاء الوزير شلبي من برقة و هو الرجل الذي يستطيع بماله من نفوذ شخصي على القولوغلية أن يعيد النظام و يعمل على أن يسود السلام.[1]

و أدرك يوسف باشا أنه لا يستطيع مواجهة الأحداث الجارية [2]، فاستدعى يوسف باشا قناصل الدول المختلفة و سألهم عن آرائهم في مسألة تغيير رئيس الدولة فلم يخفوا خوفهم من أن يكون هذا الإجراء قد جاء متأخراً لإعادة السلام، و صرحوا أنهم من دون منازعة الباشا حقه في اختيار من يخلفه، لا يستقطعون الاعتراف بمن يخلفه دون الرجوع إلى حكومتهم، و عندئذ قرر يوسف التنازل عن السلطة.[3]

وفي يوم 16 أغسطس سنة 1832م جمع يوسف باشا رجال دولته بالإضافة إلى الوجهاء و الأعيان و أعلن أمامهم بأنه أصبح في حالة شديدة من التعب[4] و تخلى عن الحكم لصالح ابنه علي باشا وتبوء هذا الأخير العرش وبايعه كامل أهل المدينة باشا عليهم و لكن أهل الريف لم يفعلوا بالمثل لأنهم كانوا يكنون الكراهية.[5]

و أدى يوسف باشا بعد هذا التصريح يمين الولاء بين تأثر الحاضرين لابنه علي رئيس الدولة الجديد، و أقسم جميع الحاضرين من بعده ماعدا ابنه عموره الذي رفض الاعتراف بالأمر الواقع رغم طلب أبيه، أعلنت تولية علي بيك القرمانلي رئيساً للدولة، بإطلاق المدافع و إذاعة الإعلان على الشعب.[6]

و رغم مقدرة علي بيك و كفايته للعمل على استتباب النظام و توفير الرخاء، إلا أنه لم يكن في يوم من الأيام يتمتع بمحبة الشعب، و كانت قسوته على الجنوده أثناء الحملة على عبد الجليل سيف النصر قد أثارت غضب القولوغلية و سخطهم الشديد عليه، حتى أن تنازل

[1]- رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص238.

[2]- محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 232.

[3]- رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص، ص 238- 239.

[4]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 266.

[5]- رحلة المبشر ايفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835، تر منير الفندري، ط 01، ص 101.

[6]- رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص ص 239-240.

يوسف عن العرش لم يحدث تغيراً محسوساً في الموقف.[1] و في غرة ربيع ربيع الآخر سنة 1649ه ــ 1833م، أتاه التعيين من قبل السلطان العثماني محمود الثاني، و لكن الثوار أصروا على عدم الاعتراف بولايته، وكثرت في أيامه الثورات.[2]

أما قناصل الدول الأوروبية فقد وقفوا موقفاً متحفظاً طبقاً لما صرحو بيه ليوسف باشا قبل تنازله عن العرش، و بقوا في انتظار تعليمات حكوماتهم التي أبلغت بنبأ إرتقاء البيك وتوليته سلطان، و إذا كان بعضهم مثل:قنصل فرنسا شويبل لم يخف عطفه على من رؤى الاعتراف به كأمير شرعي، فإن الأخريين قد أظهروا عطفهم صراحة على المطالب بالعرش، وكان أكثر هؤلاء تحمساً قنصل الولايات المتحدة، الذي لم يتورع عن أن يقدم إلى علي منشوراً ضده موقعاً عليه من طرف الثوار، ذلك المنشور الذي كان قد أبلغه هذا القنصل من قبل زملائه و إلى أعيان المدينة.[3]

و في يوم فبراير من سنة 1834م أكد ممثل حكومة نيابة طرابلس الغرب في القسطنطينية أن الاعتراف بعلي بيك أصبح أمراً مقرراً، و قد تأكد هذا تأكد هذا الخبر من خطاب أرسله "قبودان باشا " و لكنه كان سابقاً لأوانه.[4]

ب: التدخل العثماني في طرابلس الغرب.

لم تشأ الحكومة العثمانية أن تنفي الظنون والشكوك التي أحاطت بها في قضية الولاية،[5] وأرسلت إلى طرابلس أسطولاً مكوناً من اثنين وعشرين سفينة وستة آلاف رجل، وكانت غايتها الظاهرة ــ على الأقل ــ الاعتراف الرسمي بعلي القرمانلي والياً على طرابلس، وإلزام

[1]- المصدر نفسه، ص 240.

[2]- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 234.

[3]- رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص 238.

[4]- المصدر نفسه، ص 247.

[5] - أنظر الملحق رقم 04.

المتمردين بطاعة الأمير الشرعي، لكن الحقيقة، هي أن القسطنطينية كانت تعد العدة لجعل الولاية مجرد مقاطعة عادية من مقاطعات الإمبراطورية العثمانية.[1]

فقد ظهر الأسطول التركي قرب نهاية مايو1835م تحت قيادة "مصطفى نجيب" وبادر علي باشا، دون تردد أو ريبة إلى ركوب السفن وتقديم احترامه إلى ممثل السلطان، واستقبل بكل ما ينبغي من مراسيم الإجلال والإكرام الذي يليق بمكانته، وامتلأت نفسه اطمئناناً بهذا الاستقبال الحار، وسمح بنزول الجنود الذين أسرعوا إلى احتلال الحصون والقلاع والمواقع الإستراتيجية في المدينة.[2]

و في اليوم التالي، عاد علي القرمانلي إلى سفينة الأميرالية لمرافقة "مصطفى نجيب" أثناء نزوله إلى البرّ في الموعد الذي حدده لدخول مدينة طرابلس، ولكنه ما كاد يضع قدمه على السفينة حتى أبلغ بإلقاء القبض عليه، وتنحيه عن الحكم، ونقل فيما بعد إلى القسطنطينية.[3]

ونزل "مصطفى نجيب" إلى البر واستقر في القلعة، وأعلن نهاية أسرة القرمانلية، وتعيينه هو والياً على الولاية بموجب الفرمان السلطاني الذي أبلغ بيه الناس، وأصدر أوامره بفتح أبواب المدينة، وأعلن نهاية الثورة التي خمدت بطريقة عجيبة، واتخذ المتمردون وسكان المدينة كما لو لم يحدث بينهم أي صراع، على الإطلاق أمّا الأمير أحمد القرمانلي فقد تخلى عنه الجمع لجأ إلى مصراته حيث لاقى حتفه وأمام دهشته وذهول ممثلي فرنسا وانجلترا، انتهت فجأة أوضاع عامة، بتأثير التدخل التركي الذي لن يتلاءم وجوده مع مصالح الدولتين، وخاصة فرنسا بسبب حداثة احتلالها للجزائر.[4]

---

[1]- محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 365.

[2]- المرجع نفسه، ص 366.

[3]- رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص 248.

[4]- محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 467.

الخاتمة

من خلال دراستنا للموضوع نستنتج أن أهم فترة عرفها تاريخ ليبيا الحديث هي فترة الأسرة القرمانلية تلك، الأسرة التي حكمت ايالة طرابلس الغرب، كما إن هذه الفترة كانت مليئة بالأحداث الهامة الخارجية والداخلية ولاسيما فترة حكم يوسف باشا القرمانلي باعتباره ابرز شخصية في تلك الأسرة وأقوى شخص فيها وأشجعهم بحيث إن هذا الأخير كان يتطلع للحكم منذ نعومة اضافره.

فيوسف يحب السلطة وتطلعه إلى اعتلاء الحكم ولو كلفه ذلك التضحية بأسرته،بحيث نجد انه قتل أخوه الحسن بأبشع الطرق وإزاحة أخاه الآخر احمد دون أن يكترث لمصيره، ودون مراعاته لمشاعر والديه بحيث انه حقق مراده وأصبح حاكما خلفا لأبيه،وبجدر الإشارة هنا إلى إن يوسف باشا بعد وصوله إلى مقاليد الحكم استغل قوته في تهدئة أوضاع طرابلس الغرب وإعادة الأمن والاستقرار لها والقيام بانجازات عديدة لتطويرها كقيامه بترميم الحصون وإنشاءه أبراجا للمراقبة واهتمامه بالأسطول الذي أصبحت تهابه الدول الأوروبية، وتضرب له ألف حساب وهذا ما يؤكد قوة يوسف باشا القرمانلي كذلك فرض الضرائب والإتاوات والهدايا على هاته الدول من اجل حرية ممارستها للتجارة في جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط فبذلك دخل في مواجهات معها واشتد النزاع ،وذلك نتيجة للمحاولات التي قامت بها بعض تلك الدول من اجل التحرر من هذه السيطرة ،وأولها أمريكا التي وجهت له ثلاث حملات الحملة الأولى وهي حملة ريتشارد ديلّ وذلك بسبب إعلان يوسف باشا الحرب عليها بإنزال علم القنصلية الأمريكية، فهذه الحملة ترتب عنها خسائر في الجانب الليبي مما شجع أمريكا بتوجيه حملة عسكرية ثانية بقيادة موريس لتلقين الباشا درس ، لكن فشلت هذه الحملة واعتبر موريس مقصرا في أداء واجبه وتم عزله، إما الحملة الثالثة بقيادة ريتشارد ديل المكونة من سفينتين الأولى برينيريبج والثانية فيلادلفيا ولكن خسرت أمريكا هذه المعركة وتم استيلاء على فيلادالفيا واعتبر بحارتها أسرى لكن أمريكا عندما فقدت سفينتها دمرتها عن طريق القبطان ستيفن ديكاتور لكي لا يستفيد منها عدوها،نجد أن يوسف باشا تعامل بطريقة مغايرة مع الدول الأوربية القوية كفرنسا بحيث عمد على ربط علاقات ودية معها حتى لا تتوجه أنظار بونابرت الإحتلالية إلى طرابلس وتصبح قاعدة استعمارية ،لكن ما لبثت هذه القوة حتى بدأت بالضعف و الاضمحلال،لان حملة أمريكا كانت عامل مهم بان تجرب الدول الاوروبيىة الأخرى حضها هي أيضا، في وذلك بعقدها المؤتمرات بخصوصها فعقدت مؤتمر فيينا وطرح

مسالة القرصنة وضرورة القضاء عليها ،وهذا ما حققه مؤتمر اكس لا شابيل الذي قضى عليها نهائيا فبذلك اختفى المورد الأساسي للإيالة والمتمثل في الإتاوات والهدايا التي كانت تدفعها هاته الدول مقابل سلامتها ،هذا ما أدى مباشرة إلى وقوع يوسف باسا في ضائقة مالية والتي أخذت تشدد يوم بعد يوم،فالتجأ الباشا إلى احتكار بعض أنواع التجارة ، ولجوءه أيضا الباشا للاقتراض من الدول الأوروبية ،وذلك ما زاد الوضع سوءا مطالبتهم بتسديد الديون المترتبة على الباشا،ففتح بذلك مجال أمام الدول الأوربية للتدخل في شؤون البلاد الداخلية ونظرا للازمة المالية الخانقة التي تعرض إليها الباشا والتي شلت تفكيره التجأ إلى أساليب عقيمة لم تزد الوضع إلا سوءا وذلك بغشه للعملة فانحطت بذلك سمعة البلاد و أدت إلى كساد التجارة،وحينما عجز يوسف باشا على حل هذه الأزمة المالية، التجأ إلى فرض الضرائب على الأهالي وإثقال كاهلهم بها وفرض ضرائب جديدة كل ما اقتضت الضرورة ،مما أثار سخط الأهالي وتذمرهم ،والقيام بالثورات ضد يوسف باشا والمطالبة بسقوط حكمه ،هذه المشاكل التي واجهت الباشا تدل على انه لم يهتم بالتجارة الداخلية والصناعة وغيرها ،فبتوقف النشاط البحري وجهت إليه ضربة قاضية أدت إلى عجزه ثم زواله

كما قلنا أن الأهالي ثاروا ضد يوسف باشا وطالبو بسقوط حكمه، وتوليت الحكم لابنه علي ،فلم يكن أمامه إلا التنازل على السلطة

وهكذا تنازل يوسف باشا عن الحكم مكرها بعد إن عمل المستحيل في سبيل الوصول إليه .

كذلك نلاحظ إن يوسف باشا كما قتل أخاه حسن تعرض هو أيضا لمحاولة القتل من قبل ابنه محمد ،وكما ثار هو على والده ثار عليه ابنه محمد ،وكما تنازل له والده على الحكم وتوفي بعد سنوات قليلة تنازل هو لابنه عليه وتوفي بعد سنوات قليلة.

كان القدر أراد بذلك إن يبين له فظاعة ما عمل في حياته قبل مماته ،ولكن يبقى يوسف باشا أعظم الحكام القرمانليين ،حيث كان في أول عهده شجاعا جريئا فرض إرادته على الكثير من الدول التي كانت تفوقه من حيث العدة والعتاد، كما جعل لطرابلس الغرب مكانة مرموقة بين الدول بالرغم من صغر حجمها.

الملاحق

الملحق رقم 01: أسرة القرمانلي

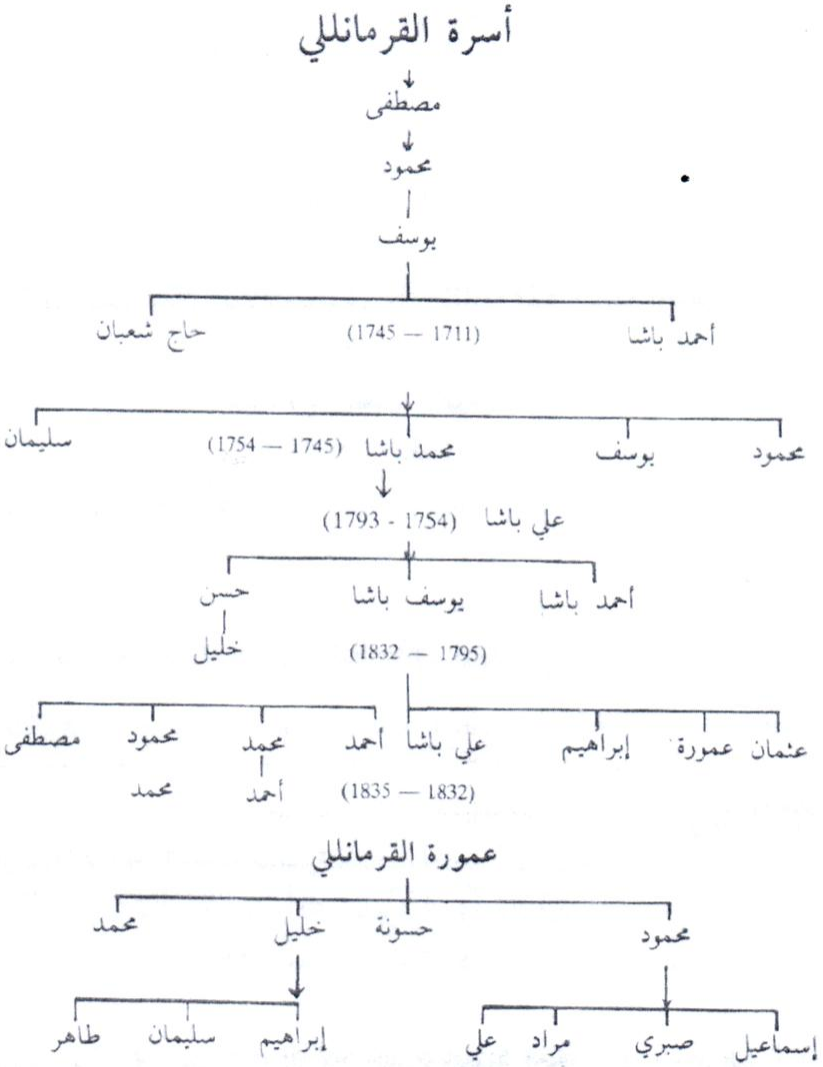

الملحق رقم 02:عملية أسر البارجة الأمريكية

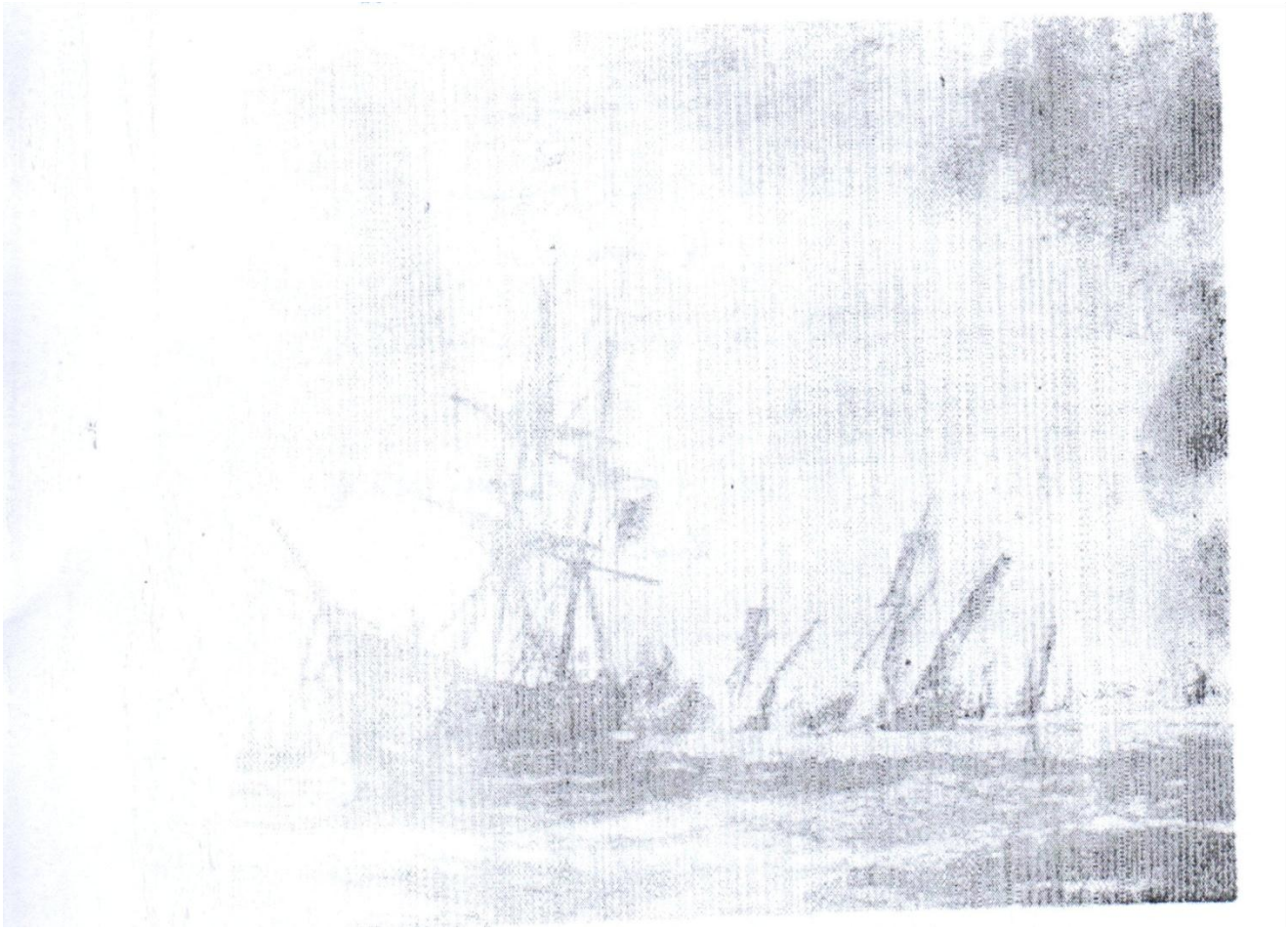

الملحق رقم03: المبالغ المدفوعة ليوسف باشا في بداية حكمه.

الدولة	المبلغ
أسبانيا لعدة مرات	41ألفاً
نابولي	5 آلاف
الولايات المتحدة الأمريكية	49 ألفاً
راجوس	4 آلاف
الدانمارك	97 ألفاً
السويد	77 ألفاً
السويد ممولة في الذخيرة	26 ألفاً
البندقية	23 ألفاً
المجموع	322 ألفاً تقريباً

الملحق رقم 04:فرمان عزل علي باشا وإنهاء حكم الأسرة القرمانلية.

نص رسالة عزل علي القرمانلي وانهاء حكم الأسرة القرمانلية لطرابلس وجهها السلطان العثماني إلى قاضي طرابلس ومفتيها وعلمائها عام ١٨٣٥ وهي منقولة من سجل المحكمة الشرعية بطرابلس لعام ١٢٣٢ - ١٢٥٣ هـ

صار أمرنا العالي السلطاني ووقع حكمنا السامي الخاقاني إلى قدوة القضاة والحكام ومعدن الفضل والكلام ، مولانا القاضي في طرابلس الغرب زيد فضله ، والى مفاخر العلماء المحققين ومراجع الفضلاء والمدققين المأذونين بالإفتاء وساير العلماء زيد علمهم ، وإلى مفاخر الأماثل والأقران شيخ البلد ووجوه الأهالي زيد قدرهم ، غب وصول التوقيع الرفيع السلطاني وإثر ورود الطغراء الغراء والخاقاني ، فليعلم إنه كما بيّن وفصّل في أمرنا الذي أصدرناه من قبل ، بأن الذين تولوا من المدة المدبرة على إيالة طرابلس الغرب التي هي خطة من ممالكنا المحروسة الخاقانية ، كانوا ظالمين ومعتدين إلى الفقراء والرعيّة ، متصدين إلى أنواع الحركة الردية ، ولا سيما منهم يوسف باشا وإبنه علي باشا هكذا أحققنا ولذا عزلنا علي باشا المومى إليه عن الولاية لتخليص الفقراء والضعفاء وعجزة الرعايا والبرايا الذين كانوا وديعة من الله الملك المتعالى إلى ذاتنا المتصفة بالبر والنوال عن مثل هذه التعديات الواقعة ، حتى تكونوا فرحين ومتريحين تحت ظلال سلطتنا العالية ، وأردنا أن يُجلب هو وأبوه يوسف المومى إليه مع ساير أقربائهما ومتعلقاتهما إلى عتبتنا المعلى وأن يوجه للإياله المذكورة عن جانب دولتنا العلية إلى الذي هو متصف بالأوطار الحسنة الممدوحة والمشوار المستحسنة المحمودة مثل حماية الفقراء والرعية وإدارة الملك والمملكة ، فعلى هذه الإرادة الخيرية أن فريقا من فرايق العساكر المنصورة ونعني به أمير الأمراء الكرام نجيب باشا دامت معاليه الذي نصبناه من قبل قائما مقاما للأيالة المذكورة باعطاء الجيوش المنظمة والسفن المكملّة إلى معتبه لما

وصل إلى طرابلس الغرب وبين صورة أمرنا وإرادتنا هذا فأنتم أيها القاضي والمأذونين بالإفتاء وساير العلماء وشيخ البلد والوجوه أظهرتم الطاعة والإمتثال بها ، وعلمتم قدر ما نعمنا على كافة الأهالي من مثل هذه المساعدة العلية ، وكمال اللطف والرحمة فشجرة الإتحاد والإتفاق تبدلت وما هو حادث في الإيالة المرقومة من المنافسة والشقاق الى الصلاح والوفاق ، وحصل بين جميع أهالي المملكة الأمنية التامة والرفاهية الكاملة ، وأرسل علي باشا المومى إليه إلى سدتنا السنية لا زالت ملاذ الأنام إلى يوم القيامة ، هكذا وجدناها محرّرة في العريضة المرسلة من طرف الفريق المشار إليه وفي المحض المعطى من جنابكم فهذه الجهة تمت مأمورية الفريق المشار اليه ، ولذا بعد تعلق علمنا بانه بعد الآن إن ساعدنا إقامة يوسف مع أقربائه وأعوانه في تلك الظرف كما كان يكون مضرا في حق الفقراء والمملكة وجهنا الإيالة المذكورة الى أمير الامراء الكرام محمد رايف باشا دامت معاليه الذي هو خادم صديق من الأصدقاء خدام سلطنتنا السنية وفريق من فرايق عساكرنا المنصورة ومتصرف في السابق بلواء ببغا مع شرط المحافظة بخليج البحر الأبيض لإتصافه للأوصاف المذكورة آنفا ، ولظهور حسن سلوكه ورويته في أمر محافظة الخليج خصوصا وجد والي نجيب باشا المشار اليه ما هي من الوصايا والتنبيهات وهى أن يترك العساكر المنصورة الكائنتين في معيته معكم وحدد السفاين من السفن الموجودة في معية الوالي اللاحق المشار إليه وأن يستصحب مع ما بقي من السفن المعهودة بيوسف باشا المومى إليه وتوابعه ومتعلقاته جميعا ويعود إلى باينا المعلى ، وايضا قد وجدنا في العريضة المبعوثة المذكورة ما هي من أوصافكم المستحسنة مثل الثبات والاستقامة في حركة العبودية والإطاعة لطرف سلطتنا العلية ، والحال أن أهالي طرابلس الغرب داخلا وخارجا من القديم كانوا مطيعين وممثلين لأمرنا وإرادتنا وعالمين بقدر نعمة ظل ظليل سلطتنا العظمى هكذا فعلوا لدى ذاتنا المحفوفة بالخلافة الكبرى ، وذلك الإنقياد والإمتثال مقارب بحسن ظننا وإعتقادنا في حقهم بدون الإشكال ولذا قد زاد وضاف فيهم إشفاقنا ومراحمنا المودة وعتاب الى ذاتنا الخاقاني من قبل الله الملك المتعالي ، وأما بعض الأهالي وان صدرت منهم بحسب البشرية الحركة غير المرضية فيما سبقت من الأيام فانها عند ذاتنا السلطاني

من محط اللطف والرحمة مستورة بذيل العفو والاحسان لرجوعهم إلى منهج الصدق والصلاح الان ، ولذا ونبه ايضا الى الوالي اللاحق المشار اليه انه بعد هذا الأوان إذا لم يضم من أحد تهمة جديدة أن لا يواخذ فرد من أفراد الأهالي والعربان بل يصرف وسعه ومقدرته إلى استحصال أسباب رفاههم وراحتهم . ومن هذا لزم وتحتم عليكم كما كان أن تكونوا مستعدين في دايرة الصدق والاستقامة وان تبرزوا أطوار الحسنة المرضية والحركات المرقوبة الرضية التي هي مستجلبة في حقكم بتزايد إشفاقنا السلطاني بلا مرية ، وأن تعلموا الفريق المشار اليه والياً عليكم في كل حال وأن تتبعوا رأيه وإرادته بالغدو والإيصال وأن تعينوا إليه في استحصال انتظام الإيالة المذكورة بارجاعها إلى تحت الضابطة القوية اعانة تامة بعون الله الملك الخلاق ، وأن تظاهروا إليه أيضاً في استكمال أسباب راحة الأهالي والسكينة مظاهرة كاملة بالاتحاد والإتفاق فصدر هذا المثال العالي الواجب امتثاله على الأسفل والعالي الذي هو مضمون أمرنا السلطاني النافذ حكمه انكم في كل وقت وحين تكونوا دايمين ومستمرين على إجراء الوصايا والتنبيهات المحررة آنفا إياكم والمخالفة لها اذاً مطلوب منكم قطعيا. وعرفنا صورة إرادتنا هذا الى شيخ المشايخ وساير مشايخ العربان باصدار الأوامر العلية المخصوصة بالبحث والبيان إذا عرفتم ما نص عليه خطابنا المستطاب اعملوا بموجبه بالصدق والصواب وامتثلوا بفرماتنا هذا كمال الإمتثال واعتمدوا بالعلامة الشريفة كل الاعتماد .

حرر في اواخر شهر ربيع الاول سنة احدى وخمسين ومايتين والف من هجرة
من له العز والشرف .
بمقام قسطنطينة المحروسة المحلية

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، ليبيا، دت.

- أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مر و تع أحمد الطويلي، دار التونسية للنشر، ط02، 1979 .

- الإخوان بيتشي والساحل الليبي 1821 1822، تر: الهادي مصطفى أبو لقمة، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط 01، 1999م.

- الآنسة توليلي، عشرة أعوام في طرابلس، تر: عبد الجليل طاهر، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، دط، 1967.

- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية،ج 01، تح محمد الاسطى وعمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدرسات التاريخية، 2001.

- رحلة المبشر ايفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835، تر منير الفندري، ط 01.

- رود لفوميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، تر: طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس.

- شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تر: محمد عبد الكريم الوفي، جامعة قاز يونس، بنغازي، ط03، 1994م.

- محمد بن عثمان الحشائشي التونسي 1855 1912م، رحلة الحشائشي إلى ليبيا 1895م، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تق وتح: علي مصطفى ألمضراتي، دار لبنان، ط01، 1960.

- محمد بن غلبون الطربلسي، تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تص وتع الطاهر أحمد الزاوي، القاهرة، دط، 1349ه.

- محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، تر: عبد السلام أدهم، محمد الأسطي، منشورات الجامعة الليبية، بيروت.

- مصطفى خوجة فزان، تاريخ فزان، تح وتق وتع حبيب وراعة الحسناوي، منشورات مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية، 1989.

- مؤلف مجهول، التكملة تاريخ إيالة طرابلس حكم علي القرمانلي باشا طرابلس الغرب 1793م، تح يان فنينا،تر عبد الرحيم الأربب، نق وتع خالد الأمير المغربي، منشورات مركز جهاد الليبيين الدراسات التاريخية، دط، 1980م.

- يوميات الطبيب جوناثان كودري في قلعة طرابلس الغرب 1803 1805م، تر وتع عبد الكريم أبو شويرب، 1986.

ثانيا: المراجع.

- أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تر: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ط02، 2001 1991.

- احمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دط، دار النهضة العربية، بيروت، 1970.

- إسماعيل كمالي، سكان طرابلس الغرب، تع وتق حسن الهادي بن يونس، مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية، طرابلس ، 1997.

- أمحمد سعيد الطويل، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرامانلي (1795_1832م)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط01، 2002.

- إنعام محمد شرف الدين، مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي، دراسة في مؤسسات المدينة التجارية (1711-1835م)، دط، طرابلس، الجماهرية العظمى 1998.

- بروشين نيكولاي إيليتش، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، تر: عماد حاتم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص 104.

- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج2، ج2، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

- خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى العرب والأجانب، دار الكتب الوطنية، ط03، 1997م.

- راسم راشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، دار النيل، القاهرة، ط1، 1953م.

- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا تونس الجزائر المغرب)، ط01، مكتبة الانجلومصرية، القاهرة، 1977م.

- صلاح أحمد البهنسي، طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني، دار الأفاق العربية، ط01، 2004م.

- الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، دار المدار الاسلامي، بنغازي، ط03، دت.

- طاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ط01، 1968.

- الطاهر الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1980م.

- عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس الجزائر ليبيا 1816 1871م، دار التونسية للنشر، ط01، مارس 1972.

- عبد الله خليفة الخباط، العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وإنجلترا 1795-1832م، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، دط ، 1985م.

- علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة الاستعمار في ليبيا دراسات في الأصول الاجتماعية والإقتصادية والثقافية لحركات وسياسات الوطني ومقاومة الاستعمار 1830 1932م.

- علي مسعود البلوشي ،تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرامنلي 1551_1911 نشأة وتطور أنماط المساجد في الليبية ، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2007.

- عمر علي بن اسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا، مكتبة الفرجاني، طرابلس ، 1966.

- كامل علي مسعود الويبة، الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب 1842 1911م، مر طاهر خلف البكاء، مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية، 2005.

- كامللو متفوري، إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، تر عمر محمد الباروني، مر صلاح الدين السوري،منشورات مركز دراسة الجهاد الليبين ضد الغزو الايطالي،دط،1988.

- كوستانزيو برنيا، طرابلس من 1510 إلى 1850، تر: خليفة محمد التليسي، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط01، 1985م.

- كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، تر: عبد القادر مصطفى المحيسى، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، دار الكتب، طربلس، ط1، 1988.

- مابل لومس تود، أسرار طرابلس، الناشرون دارف المحدودة، لندن، ط02، 1975، ص 59.

- محمد إبراهيم لطفي المصري، تاريخ حرب طرابلس، مؤسسة الأمير فاروق، ط01، 1946.

- محمد الهادي عبد الله بن عجيلة، النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية 1711-1835م وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية، منشورات جامعة فاز يونس، بنغازي، ط1، 1997.

- محمود علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى، ليبيا)، منشورات جامعة دمشق، 1999-2000م، ص 208.

- نجم الدين غالب الكيب، مدينة طرابلس عبر التاريخ، دار العربية للكتاب، ليبيا ــ تونس، ط02، 1978 .

ثالثا: المجلات.

- خالد عمر مادي، القبيلة في النظام السياسي الليبي، مجلة الجنوب الليبي، العدد الأول، ديسمبر 2015م.

- وليد خالد يوسف، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج 19، ع 06، حزيران 2013م.

رابعا: المراجع باللغة الأجنبية.

-Major dixon Denham, marratve and dexoveries in northern and central Africa in the years 1822,1823 and 1824 London, 1826 p 23

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر.....أ

الإهداء .....أ

مقدمة .....أ

المدخل: قيام الأسرة القرمانلية **07**

الفصل الأول : وصول يوسف باشا إلى حكم طرابلس

المبحث الأول: شخصية يوسف باشا القرمانلي **27**

المبحث الثاني : إنجازات يوسف باشا في طرابلس الغرب **30**

المبحث الثالث: الحرب الطرابلسية/ الأمريكية (1801-1805م).....**37**

المبحث الرابع: علاقة يوسف باشا بالدول الأوروبية (فرنسا، الدانمارك، السويد) **43**

الفصل الثاني : الوفاق الأوروبي وبداية زوال الأسرة القرمانلية

المبحث الأول : مؤتمر فيينا **54**

المبحث الثاني: إكس لاشابيل.....**59**

المبحث الثالث: الحملة السردينية والبابوية على طرابلس الغرب **63**

المبحث الرابع: الحملة النابلوليتانية على طرابلس عام 1828م **71**

الفصل الثالث : انهيار حكم يوسف باشا وسقوط الأسرة القرمانلية

المبحث الأول : الأزمة المالية.....**75**

المبحث الثاني : الثورات الداخلية.....**80**

المبحث الثالث: التنافس الفرنسي الإنجليزي حول طرابلس الغرب **85**

المبحث الرابع: التدخل العثماني وسقوط الأسرة القرمانلية.....**94**

خاتمة **99**

ملاحق.....**102**

قائمة المصادر و المراجع.....**109**

فهرس الموضوعات **114**